طبع على نفقة مكتبة النهضة المصرية ٣٥ شارع سليمان باشا و يطلب منها

مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض
قسم الكتب العربية
الرقم العام: ١٣٥٤٧٣
رقم التصنيف: ٨١٠٩١٦٦
٤٣٧

على السفود

عباس محمود العقاد

نقد تحليلي

بقلم إمام من أئمة الأدب العربي

ولا خير في نار لو تلقت
بجاحمها حديداً ظن شحما
ويشوي الصخر يتركه رمادا
فكيف وقد رميتك فيه لحما؟

مقالات نشرت في مجلة العصور الغراء

حقوق الطبع محفوظة

دار العصور — ١٣٤٨ هـ . ١٩٣٠ م

مقدمة

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد ...

«يعرف كتاب الغرب طائفة من أدعياء التفكير (مثل العقاد[1]) يسمونها الانتلجنزيا ويعنون بهذه الكلمة مانعنيه فى اللغة العربية بكلمة المتحذلقين أو المتفيهقين. ومن صفات هذه الطائفة أن تكون على شيء من بريق الذكاء وقدرة على تلفيق الافكار... ومظهر من مظاهر العلم والاطلاع وأستاذيه منتحلة ... يغتر بها من ينخدعون بشقشقة اللسان وسمات الوقار... فهى سطحية فى كل نوع من أنواع المعرفة لاتنفذ الى قرار مسألة ولاتحيط بفكرة ولاتفهم شيئا على حقيقته البسيطة ولا على استقامته الطبيعية. لان الفهم عمل يشترك فيه الذكاء والادراك والذوق[2] والفطرة والبصيرة. وليس عند هذه الطائفة ـ طائفة المتحذلقين — من هذه الأدوات إلا وميض الذكاء المغرى بالتوشية والتلفيق دون الاستيعاب والنفاذ الى الاعماق (٣)

***

---

(١) هذه الكلمة منا للبيان والتفسير

(٢) وناهيك من ذوق كذوق العقاد الشاعر المراحيضى كما ستعرفه

(٣) هذه النبذة كلها بحروفها من مقالة للعقاد فى جريدة مصر عدد ١٨ من اكتوبر سنة ١٩٢٩ والعامة يقولون «مسكوا فرعون بخطه»

ماذا يصيب الدنيا اذا أُدّب هؤلاء القوم بالوسيلة الوحيدة التى يفهمون بها الأدب . . . ويزدجرون بها عن السباب . . . ! إن أنانية هؤلاء المجرمين أنانية عمياء لاتعقل ولاتدرك أن الاحراق بالنار يؤلم ويرمض حتى تحرقها النار (نار السفود . . . (١)) وترمضها أيما إرماض . .

إن من الحسن أن تستنكر المطاعن لانها معيبة مشنوءة ولكن ليس من الحسن أن تستنكر لانها تؤذى من لايحفلون يوما بايذاء إنسان.

وإذا كان كل مايلاحظ الآن أن هؤلاء المجرمين يتألمون فليتألموا وليتألموا . . . وليفرطوا فى الالم . . . فما يبتلى بالالم أحد فى هذه الارض هو أولى به من أمثال هؤلاء (٢)

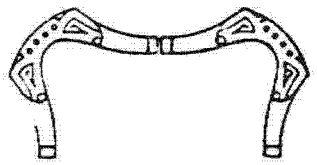

---

(١) هذه الكلمة منا للبيان والتفسير

(٢) النبذة كلها بحروفها من مقالة العقاد فى جريدة مصر عدد ٢ من نوفمبر سنة ١٩٢٩

السفود
ومعناه

السَّفُّودُ فى اللغة الحديدةُ يشوَى بها اللحم، ويسميها العامة (السيخ) وقد تكون عوداً مستويا يذهب مستدقاً فينتهى بشباة حادة فى طرفه الأعلى هى مغرزه فى اللحم ، كما تكون حديدة ذات شُعب معقَّفة (ملوية من اطرافها) ويجمع السفُّود على سفافيد

وقد استعرنا هذه الكلمة فى النقد لأَن بعض المغرورين من أدباء هذا الزمن ممن عدَا طورهم وتجاوزوا كل حد فى الادعاء والغرور ؛ لا يصلح فيهم من النقد إلا ما ينتظمهم ويُسفِرِشهم نارا كنار اللحم يشوَى عليها ويقلَّب ويُنْضَج؛ فلقد اعيتنا من الصفاقة والدعوى والخداع ولؤم الادب والعُجْبِ والفتنة بما لا تدبير فيه الاحال كتلك ، وما دونها من النقد فهو دونهم فى الابلاغ والتأثير ، فلذلك ما قلنا « على السفود » .

ومن تناوله السفود قيل فيه (مسفَّد) لا يجوز غيرها لان تسفيد اللحم نظمُه فى تلك الحديدة للاشتواء ، فالعقاد (مسفَّد) فى هذا الكتاب، وهذا النقد (تسفيده) ، وسفَّده فلان وضعه (على السفود) . . .

التعريف بالسفود

كان السبب الاول الذى حدا بنا الى نشر مقالات «على السفود» فى العصور ان نرضى ضميرنا بان نفسح المجال لعلم من اعلام الادب وحجة ثبت من رجالات هذا العصر، أن يعبر عن رأيه فى صراحة وجلاء فى أديب امتاز بين الادباء بشىء من الصلف عرف به، ويقدر غير قليل من الزهو بالنفس والاغراب فى تقدير الذات، تلك الاشياء التى لا تسكن نفساً الا ويطلقها العلم ثلاثاً، ولا تحل بشخصية الا وتنفر منها الرجولة نفوراً، ولا تغشى عقلا الا وتكون دليلا على انحرافه وتفكك الثقة به.

ولقد أطلق علينا ذلك الأديب المفتون ألسنة من أعوانه حداداً كان يلقنهم ما يقولون، فينقلون ما يلقى إليهم كأنهم الحاكية المركبة تنطق عن غير ارادة وعن غير فهم كما مُلِئَتْ به، فقد أرسل الينا أحدهم نقداً على كاتب السفود لم نتحاش من نشره لما فيه من بذاءة فى القول واسفاف فى المناظرة فقط، بل لانه تضمن نقداً فى مسألة اعرابية نحوية لو أننا نشرناه لكان المنقود العقاد لا كاتب السفود. وهذا مقدار ما وصلت اليه عقلية أذناب العقاد الموحى اليهم منه بما يكتبون ومايقولون، وتلك نهاية ما بلغ علمهم باللغة والادب ملقى به اليهم من زعيمهم الاكبر وصنمهم المرموق منهم بعين الاحترام فى الظاهر، والاحتقار الدفين فى الباطن.

غير أن هنالك سبباً آخر حدا بنا إلى نشر مقالات «السفود» النفذة على صحفات العصور. فاننا لم نخرج العصور لتكون اداة مدح لمجرد المدح أو اداة ذم لمجرد النفع المادى. تلك الطريقة التى اتبعتها الصحف فى مصر الى عهد قريب. ومن الاسف أنها طريقة لم يتورع عنها أكبر

الصحف السيارة . فسمى النقد تقريظاً . وسمى الاستجداء تقديراً للاشخاص . وسمي التمسح تقييما لذوى الفضل ، وهكذا حتى اجتمع للصحافة قاموسها المعروف بين الذين يعرفون كيف يستغلون الصحافة .

فلما أصدرنا العصور عولنا على أن نسمى النقد نقداً والتقدير تقديراً والتقييم تقييما ، بكل ما تسع هذه الكلمات من المعانى المحدودة لا المعانى المؤولة تأويلا صحفياً على الوجه الذى درج بين الصحافة ورجال الصحافة .

بيد أننا بجانب هذا صممنا على أن نعطى الكتاب أوسع فرصة للتعبير عن آرائهم والافصاح عن ما تكنه صدورهم من حرية كاملة ولو كان النقد موجهاً الينا بالذات . فمن أرادمنهم أن تكون العصور ميدانه فى نقد أو دفاع ، فاننا نرحب به ونعطيه أوسع فرصة ممكنة للتعبير عما يراه من رأى فى أى موضوع من الموضوعات .

لهذا أردنا بنشر السفود أن نرضى من أنفسنا نزعتها الى تحرير النقد من عبادة الاشخاص . ذلك الداء المستعصى الذى كان سبباً فى تأخر الشرق عن لحاق الامم الاخرى فى الحضارة .

وإن نحن قدمنا اليوم للسفود بهذه المقدمة الوجيزة ، وقد هم أحد أدباء الناشرين بنشره ، فانما نقدم بها تعريفاً لما قصدنا من اذاعة هذه المقالات الانتقادية التى أعتقد بانه لم ينسج على منوالها فى الادب الحديث حتى الآن .

وعسى أن يكون « السفود » مدرسة تهذيب لمن أخذتهم كبرياء الوهم ، ومثالا يحتذيه الذين يريدون أن يحرروا بالنقد عقولهم من عبادة الاشخاص ، ووثنية الصحافة فى عهدها البائد

اسماعيل مظهر

بسم الله الرحمن الرحيم

وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم فى صورته وفى صور أتباعه وحزبه وشيعته ممن خلقوا ليكونَ فيهم تاريخه على الارض ولتقوم بهم أعماله جاريةَ مجراها فى مَقْتِ الله وغضبه ، ولابد من مقت الله وغضبه على هذه الدنيا مِلْءَ ما يملؤه الليل ؛ ونعوذ بالله من كل انسان أسودِ المعنى فانما غضبُ الله سوادٌ فى معانى الناس .

واذا شئت أن تعرف ما سواد المعنى فاعلم أنه اللون الذى يراه صاحبُه المفتونُ أشدَّ بياضاً من الابيض فيسخر القدر من غلوِّه وغروره فاذ هو كالوحل جاء فى قالب ثلج . . واذا هو سخريةٌ من ناحيتين . فالمغرور ولو كان أعلم الناس ، واللئيم ولو كان أكبر الناس ، والفاسد ولو كان أرقى الناس ، وكائنٌ من كان اذا عُطِف على هذا النسق ، وبالغٌ ما بلغ اذا دخل فى هذه الجملة ، كل أولئك فى السماء برابرة المعانى . . . وهم على خدِّ الارض أبيضُها واحمرها

وأما بعد فانا نكشف فى هذه المقالات عن غرورٍ ملفَّف ودعوى مغطاة وننتقد فيها الكاتب الشاعر الفيلسوف ! ! ! (عباس محمود العقاد) وما إياه أردنا ولا بخاصته نعبأ به ، ولكن لمن حوله نكشفه ولفائدة هؤلاء عرضنا له . والرجل فى الادب كورقة البنك المزورة هى فى ذات نفسها ورقةٌ كالورق ولكن من ينخدع فيها لا يغرم قيمتها بل قيمةَ الرقم الذى عليها وهذا من شؤمها ومن هذا الشؤم حقُّ البيانِ على من يعرفها .

وقد يكون العقاد أستاذا عظيما ، ونابغة عبقريا ، وجبار ذهن كما يصفون

ولكنا نحن لانعرف فيه شيئاً من هذا وماقلناه فى الرجل إلا مايقول فيه كلامه ، وانما ترجمنا حكم هذا الكلام ونقلناه من لغة الاغلاط والسرقات والحماقات الى لغة النقد وبيناه كما هو لم نُبْعِدْ ولم نتعسّف ولم نتمحّل فى شىء مما بنينا عليه النقد ؛ ولكل قولٍ أو عملٍ حكم على قائله أو فاعله يجىء على قدره عالياً ونازلا وما بينهما

والعقاد وإن زوّر شأنهُ وادعى وتكذّب واغتر ومشى أمرُهُ فى ضعفاء الناس بالتنطع والتلفيق والايهام، فان حقيقته صريحة لن تزوّر، وغلطاته ظاهرة لن تدّعى، وسرقاته مكشوفة لن تلفّق، ومازدنا على أن قلنا هذا هذا؛ فان يغضب الاسودُ على من يصف سواده فليغضب قبل ذلك على وجهه

فى هذه المقالات مُثُلٌ (وعينات) تؤول بك الى حقيقة هذا الأديب من كل نواحيه وفيها كافٍ إذلا يلزمنا أن نأتى على كل كلامه اذا كان كل كلامه سخيفا . وآثار هذا المغرر فى الادب تنظمها كلّها قضيةٌ واحدة من السرقة والانتحال فى غباوة ذكية . . . . ذكيةٍ عند الطبقة النازلة من قراء جرائدنا وعند أشباههم ممن ليست لهم موهبة التحقيق ولا وسائله ثم . . . ثم غبيّة فيما فوقها . وأولئك طائفة لا ميزان لها ولا وزن فلا ترفع ولا تضع ، وانما العمل على أهل النظر والتأمل ومن فيهم قوة الصواب وعندهم وسائلُ الترجيح ولهم قدرة الحكم وبلاغة التصفُّح ولطفُ الخاطر البعيد والاستشفافُ لما وراء الظاهر

وسترى فى اثناء ماتقرؤه مايثبت لك أن هذا الذى وصفوه بانه جبار الذهن .... ليس فى نار (السفُّود) الا أديباً من الرصاص المصهور المذاب

ونرجو أن تكون هذه المقالات قد وجّهت النقد فى الأدب العربى الى وجهه الصحيح وأقامته على الطريق المستوية ، فان النقد الأدبى فى هذه الايام ضربٌ من الثرثرة واكثر من يكتبون فيه ينحُون منحى العامة فيجيئون بالصورة على جملتها ولا يكون لهم قول فى تفصيلها ، وانما الفن كلُّه فى تشريح التفاصيل لا فى وصف الجملة . وماذا فى أن تقول هذا كلام نازلٌ ومعنى مستغلق ، وهذا استكراد وتكلف ، وهذا ضعيفٌ ردىء وهذا لم أفهمه — وهى طريقة الدكتور طه حسين وأتباعه — ؟ ألا يقابل ذلك فى الشاطىء الآخر من المنطق . . . هذا كلام عالٍ ومعنى مكشوف وطبعٌ وطريقة وَحَذْوٌ جيد وفهم وبيان وهكذا من جملةٍ تقابل جملة وكلمةٍ تنقض كلمة وأخذ وردٍّ فيما لا يثبت ولا يتحصل ؟

يقولون إننا فى دور انتقال بالادب العربى ، والحقيقة أننا من العقاد وأمثاله الغارّين المغرورين بآرائهم الطائشة وبيانهم المنحط — فى دور انسلاخ ورجعةٍ منقلبة . والأعرج ويحكم هو دائما فى دور انتقال . . . إن ذهب يعمّى ويتفلسف فى أسباب عرجه ، وما يمنعه ان يقول انه ليس بأعرج وانما هذا فن جديد من الخيلاء والتبختر ينتقل به . . . من المشي خطواً الى المشي رقصاً . . . ؟

هذا وقد كتبنا مقالات (السفود) كما تتحدث عادة لهواً بالعقاد وأمثاله إذ كانوا أهونَ علينا وعلى الحقيقة من أن نتعب فيهم تعبا أو نصنع فيهم بيانا فهم هَلاهيلُ لا تشُدُّ احدهم حتى يتهتّك وينفتق (وينفلق) . .

وإنى ولمّا أَضربُ (١) الكبشَ ضربةً على رأسه تُلْقى اللسانَ من الفَمِ .

---

(١) يفسرون معانى هذا البيت بر بماو البيت عربى قديم

عَلَى السُّفُودِ

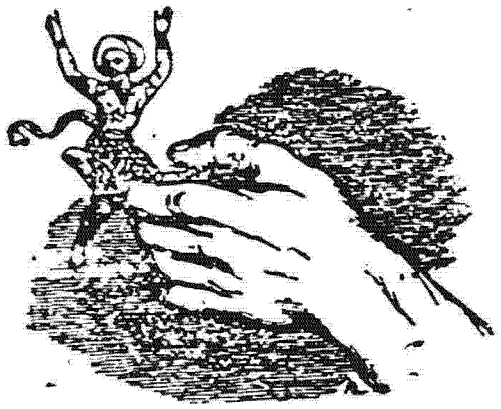

وللسُّفُود نارٌ لو تَلَفَّتْ بجَاحِمِها حَدِيداً ظُنَّ شَحماَ
ويَشْوِى الصَّخْرَ يَترُكُهُ رَمَادًا فكيف وقد رميتُكَ فيه لَحْماَ؟

عباس محمود العقاد (١)

يقول جول لمتر الناقد الفرنسي المعروف: «ولا أكاد أفرغُ من كتاب أقرؤه حتى يذهبَ بى الانفعالُ مذاهبهُ حزناً وفرحاً، وقد أضطربُ من شدة السرور وكأنما خالَطَنى ذلك فى اللحم والدم»

إحذفْ هذا الشعورَ النبيلَ القائم على الفهم والحق وعلى القلب والعقل، وضع فى مكانه ألأمَ شعورٍ وأخزاه يخرجْ لك «عباس العقاد» الجِلْف الحَقُود المغرور قائلا: «لا أكاد أفرغ من قراءة كلمة طيبة لاحد من خلق الله حتى أمتلىء حِقداً وغمًّا وأرانى أشعلتُ النار فى لحمى ودمى»

إن لم يقل هذا المغرورُ ذلك بياناً وكلاماً فقد نطقت به أفعالُه فى ألأم لغةٍ وأخس طبيعة، وهو دائبٌ منذ عشرين سنةً لا يعمل إلا هذه القاعدة، ولا تعمل فيه إلا هذه القاعدة، وكان يظن أن الناس يهابونه لمكانٍ ما فى نفسه من نفسه، ولكنه لما طرد أخيرا من جريدة البلاغ رأى حيطانَ الشوارع نفسَها تكاد تشتمه وأيقن

---

(١) نشرت فى عدد شهر يوليو سنة ١٩٢٩ من مجلة العصور

أنه أهونُ وأسقط من أن يعبأ به أحد من الادباء، وعلم أن الاحترام كان لمنزلة جريدة البلاغ لا لمنزلته هو .

وماذا كان يعمل فى جريدة البلاغ ولماذا أخرج منها ؟ كانوا يحتاجون إلى سفيه أحمق يُسَافِهُ عنهم جريا على القاعدة الحكيمة القائلة : إن الكريم لايحسن به أن يكون سفيها فيجب أن يتخذ له من يُسافه عنه إذا شُتم ، فلم يروا أكفأ من العقاد وقاحةَ وجهٍ وبذاءةَ لسان وموتَ ضمير وحمقاً أكبر من الحمق الانسانى واؤمَ نفس بقدر مجموع كل ذلك ، سفيه مكرم بحكم السياسة !!!

وما تقول فى كاتب يناقش الدكتور هيكل رئيس تحرير السياسة ، ذلك النابغة الذكى والانسان الرقيق فيكتب عنه فى صدر جريدة البلاغ : كتب الولد المسطول ! ! ! ويناقش الاستاذ خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم ؛ وهو كاتب سياسى محنك دقيق الفكر مُتّسعٌ متفنن ، وقد زعم فى بعض المسائل أنها مسألة اقتصادية فيقول له العقاد في صدر البلاغ : إقتصادية ماذا يامغفل ! ! !

ثم وماذا تقول فى كاتب لم يشتهر الا بمنزلة (البلاغ) فى الامة ولم يعش الا منه ثم يتطاول بلسانه على صاحب البلاغ نفسه — كما نشرت جريدة الاخبار — حتى يضطره الى مثل الكلمة التى قيلت فى السماء لابليس : أخرج منها . . .

ولكن هل لهذا العقاد قيمة حقيقة ؟ وهل يخشاه أحد من الأدباء كما يظن هو أو كما يخيل إلى بعض الناس فى خارج مصر ؟

أما أنا فأذكر للقراء أحدث دليل وقع من أيام فقط . وذلك أن أديباً كبيراً أراد العقاد أن يواجهه بلؤمه فى مجلس رئيس تحرير مجلة من أكبر المجلات فثار فيه الأديب وقال له فى وجهه بالحرف الواحد : أنت وقح سافل وأنا أحتقرك ولا أعرفك (١)

---

(١) نحن نصف العقاد بالوقاحة وفى يدنا كتابة بخطه وتوقيعه أعطانا اياها ليثبت لنا اثباتا قانونياً ! ! ! أنه كذلك . وهو كذلك يا عقاد

هذه هى منزلة الرجل بمآلهُ بها أديب من أكبر الأدباء ؛ وماذا تظنه فعل حين سمع هذا ؟ قال له دمه في داخل ضميره · صحيح صحيح ! ! فسكت ثم قام وكاد الباب يبصق في وجهه نيابه عن الأديب المعتدَى عليه وعلى أخلاقه الكريمة

الأمر كله وهم وخداع ، كالحمار يلبس جلد الأسد .. فلما رأى القراء هذا العقاد لا يكتب إلا سباباً وحقداً ولؤماً وتطاولا على الناس ودعاوى فارغة وتضليلاً وإيهاماً بايراد آراء الفلاسفة وزعمه مناقشتها ، ظنوا من تتابع كل هذا مالا بد أن يظنه الضعفاء ويتأثروا به من عمل التكرار . وقد قيل إن الذئب إذا واثبَ إنساناً ضلّل حواسه فجعل يثبُ بغاية السرعة أمامه وخلفه ويمينه وشماله وفوقه ليخيّل اليه من تتابُع هذه الحركة السريعة أنه ذئابٌ كثيرة لا ذئبٌ واحد ، وبعبارة أخرى ليدبرَ أمام عينيه « فلم » ذئاب سُمّا توغرافيًا كاذباً لا حقيقة له وهكذا يفعل هذا الذئب الادبى العقاد .

ومن أين كلُّ هذا وما سببه ؟ نحن لا نجرى إلا على أحدث قواعد النقد ، وهذه القواعد تقضى بأن الافكار راجعةٌ إلى أحوال عصبية ، وأن ما فى داخل الانسان هو الذى يصنع ما فى خارجه ، وكذلك الكاتب فى كتابته فانت لا تصل إلى حقيقتها إلا بعد أن تقف على حقيقة مشاعره وأخلاقه وطباعه وأصله وفصله ؛ هى وحدها تفسيرُه وتفسيرُ ما يكتب وما يعمل .

على هذا الأصل يجب أن يعرف الناس هذا المخلوق المسمى العقاد . واذا صحّ ما كتبته عنه جريدة الاخبار وعن منبته — فان من يصحُّ فيه مثل ذلك — يظلُّ العالم كله في نظره كالشارع الذى يُلقى فيه لقيط . المكان والسكان والعالم وأهله فى ناحية واللقيط وحده في الناحية الأخرى ، فهو يكره الوجود من أجل نفسه ويكره نفسه من أجل الوجود والمنفعةُ المادية وحدها هى دنياه وأهله وناسُه

سل الأطباء ما الذى يؤثر فى الجنين أشد تأثير ويخرجه شرِساً حقوداً لئيما بالغريزة اذا خرج كذلك؟ إنهم يجيبونك إن المنبت مصنع الطباع والاخلاق؛ فكل

ماصنع فى « معمل » جاء من مواده ولن يفلح فيه بعد ذلك أدب ولا تهذيب ولا علم ما لم يكن في المعمل أدَّبَ وهذَّبَ

لو كان العقاد يرضى ان يقال عنه انه مترجم لأنصف نفسه وأراحها ، ولكنه يزعم — في وقاحة — أن لاعبقرى غيره . فاذا ذهبت تقرأ كتبه رأيت أحسنَ ما يكتبه هو أحسنُ ما يسرقه ، وهذا أمر كالمجمَع عليه ومع ذلك لا يريد اللص إلا أن يعدَّ من أرباب الاملاك ! ! !

تأمل أسماء كتبه : « ساعات بين الكتب » « مراجعات في الأدب والفنون » « مطالعات فى الكتب والحياة » ماهذا ؟ هل هى إلا اللصوصية الأدبية تسمى نفسها من حيث لا يشعر اللص ؟

واذا ذهب كل انسان يقرأ الكتب التى تعد بالملايين ويلخص كل كتاب في مقالة أو مقالات فهل يعجز عن هذا العمل أحد ، وهل يكون كل الناس عباقرةَ لأنهم قرؤا وفهموا و سرقوا ولخصوا ؟ لقد هانت العبقرية وأصبح خمسة آلاف من طلبة البكالوريا فى هذه السنة وحدها خمسة آلاف عبقرى أنجبتهم مصر فى عام واحد . . . .

ويدَّعى العقاد أنه إمام في الأدب فخذ معنا في تحليله ، أما اللغة فهو من جهل الناس بها و بعلومها (١) وقلما تخلو مقالةله من لحن ، وأسلوبه الكتابى أحمق مثله فهو مضطربٌ مختلٌّ لا بلاغة فيه وليست له قيمة ؛ والعقاد يقر بذلك ولكنه يعلله أنه لا يريد غيره فنفهم نحن أنه لا يمكنه غيره

هو من جهة اللغة والبيان ساقط لا يكابر فى هذا ، أمسك عليه هذه المقدمة أولاً ثم خذ منه نتيجتها . نتيجتُها عند نفسه أنه شاعر كاتب عبقرى !! وهبْه نزل عليه الوحى فما قيمة ذلك إذا كان لا يجىء الا فى أسلوب سخيف ؟

للعربية سرُّها فى تركيبها و بيانها فاذا أهملناه صارت العربية (كلام جرائد)

---

(١) سيأتى ذلك مفصلا بامثلته

يصلح لشيء ولا يصلح لشيء آخر ، يصلح ليقرأ اليوم و يلقى ولا يمكن أن يصلح للغد والاحتفاظ به ليكون ثروة للغة والبيان .

وأنت تقرأ شعر العقاد فتجد فيه شيئين متباينين ـ بل متناقضين ـ الأول بعض أبيات حسنة لا بأس بها ، والثانى ألوف من الأبيات السخيفة المخزية التى لا قيمة لها ، لافى المعنى ولا في الفن ولا في البيان فعلام يدلك هذا ؟ يدلك بلا شك ان الأبيات الحسنة مسروقة جاءت من قريحة أخرى وطبيعة غير هذه الذى تعصف بالغبار والاقذار ، فان الشاعر القوى لابد أن يتسق كلامه في الجملة على حذو الالفاظ ومقابلة المعانى . واذا نزل بعض كلامه لعارض ما لم ينزل الا طبقة واحدة أو ما دونها . أما العقاد فيتدحرج ! ! من مائة درجة عندما يسمو ، أعنى عندما يسرق فى بيت أو بيتين .

نحن نفتح الآن ديوان هذا السخيف كما يتفق ونخرج لك مما نصادفه ، وكن واثقاً أنك لن تفتح صفحة دون أن تقع على سخافات كثيرة . أنظر قوله صفحة ٢٠ « لسان الجمال » :

يا من إلى البعد يدعونى و يهجرنى ٥ أسكت لسانا الى لقياك يدعونى
أسكت لسانَ جمال فيك أسمعه ٥ فى كل يوم بأن ألقاك يغرينى

هذان البيان لا بأس بهما ثم يتدحرج بعدهما نازلا . وفى الشطر الاول غلط ككلام الجرائد والروايات السخيفة حين تقول (دعاه إلى أن يبتعد) ولا معنى لكلمة دعاه هنا لانها لا تفيد الا الاقبال وهو يريد ضده . وكان الأفصح أن يقول فيهجرنى ليكون الهجر مرتبا على رغبة صاحبه في ابعاده فيصور أجزاء المعنى بألوانها . والبيت الثانى كله تكرار لنصف البيت الاول . وقد تجوز العرب فى قولهم : نطقت الحالُ بكذا على اتساع الكلام لأن المنظر كالمنطق (١)

---

(١) يعللون مثل هذا بقولهم إن الحال اذنت بأن لو كان لها جارحة نطق لقالت كذا

فالمجاز قريب شائع . ولكن البرود كله أن يقول « سمعت » وجهك يقول كذا أو « سمعت» لسان جمالك يقول كذا فان هذا يقتضى نطقا حقيقياً فيما لا ينطق الا توهماً ومجازا وبهذا ينحط المعنى.

واذا كان للجمال في هذا الحبيب « لسان » فلا يعقل أن يكون اللسانُ فى غير فم فان هذا يُحضر صورةَ هذا خصوصاً بعد ما قال « أسمعه » ، وإذن صار الحبيب حيواناً عجيباً فى ظاهر أعضائه أعضاء أخرى ، وما معنى قوله « أسمعه في كل يوم» ؟ اذا كان لسان الجمال ناطقا أبدا فالصواب فى كل حين أو فى كل وقت واذا كان أخرس لا ينطق الا مرة في اليوم فيكون تعبيره حينئذ صحيحا وهذا غير ما يريد المتشاعر وغير ماهو حق المعنى

هل تريد الآن أن تعرف أصل هذا المعنى على أدق وأجمل ما يأتى في الشعر أنظر قول العباس بن الاحنف .

أريد لأدعو غيرَ ها فيجرُّنى لسانى اليها باسمها كالمُغالِبِ

فَقلب المتشاعر المعنى وجعل الذى يغالبه « لسان الجمال » وبذلك سقط الشعر لان ابن الاحنف أراد أن الحبيبة هى غالبة على ارادته فيجره لسانهُ إلى اسمها إذا أراد أن يدَعه إلى اسم امرأة غيرها . والعقاد جعل لسان الجمال « يدعوه » فقط لا يجرُّه جراً اذا أراد الحبيب أن يبعده عنه

وقد عَبَّر أبو تمام أحسن تعبير عن هذا المعنى بقوله :

هى الشمسُ يُغنيها تودُّدُ وجهها إلى كل من لاقتْ وان لم تَوَدَّدِ

وتأمل قوله « يغنيها تودد وجهها » فهى كلمة بالعقاد وكل شعره .

نحن نعبث بهذا المتشاعر ونُفسح له مهربا كمهرب الفأر بين أظافر الهر لا يرسله يمينا إلا ليضربه شمالا . وانما سرق المتشاعر من قول القائل .

تكلفنى هجرانَها بلسانها ويدعو اليها حسنُها بلسانِ

وهذا معنى كثير فاش تجده فى الغزل وفى المديح أيضاً وهو فى الشعر الاوربى أكثر منه فى الشعر العربى (١)

بجانب هذه القطعة قطعة أخرى معربة عن شكسبير يقول في البيت الثالث منها :

ومالت على أذنيه حتى كأنه ليسمع منها شجوها والتندما

فما هذه اللام فى « ليسمع » ؟ لام سقادية ولاشك ، أى سخافة وتخليط ، ان هذه اللام لاتأتى إلا زيادة في التوكيد . وهنا كأن للتشبيه لا للتوكيد أى لم يسمع بل كأنه فلا توكيد فى الكلام ولا محل لتلك اللام مطلقاً إلا أنها من جهل المتشاعر ويقول في هذه القطعة :

تهد قوى النبت المريرة من جوى فتعرقه إلا مشاشا وأعظما

فسر « تعرقه » بقوله : عرق اللحم كشطه وأبقى العظام ، فاذا كان هكذا فمعنى البيت (تكشط اللحم وتبقى العظام إلا العظام ! ! !) أهذا بيان أم هذيان؟ ونفتح صفحة ٣٠ فاذا قطعة فى العقاب الهرم يقول فيها :

ويثقله حمل الجناحين بعد ما أقلاه وهو الكاسر المتقحم

يريد بالكاسر مثل قول الجرائد التى يتعلم فيها (حيوان كاسر وأسد كاسر) وهو خطأ لان هذه الكلمة لاتقال إلا للطائر حين يكسر جناحيه للوقوع ويقول بعد هذا البيت :

جناحين لو طارا لنصت فدومت شماريخ رضوى واستقل يلملم

قال في الشرح : التدويم تحويم الطائر فى الفضاء والشماريخ القلال ، والمعنى أن خاصة (كذا) الطيران سلبت من جناحيه فأصبحتا (كذا) هما والجبال سواء . ما الذى فهمت أيها القارىء من هذا الشرح ومن سخافة النظم ؟ يريد المتشاعر

---

(١) وينظر العقاد فى شرقه أيضا إلى (جيب) ابن الفارض فى قوله .

وإلى عشقك الجمال دعاه قالى هجره ترى من دعا كا

ن جناحي العقاب الهرم جمدا فلا يطيران فلو هما طارا لطارت في الجو شماريخ جبل رَضْوَى وقام جبل يَلَمْلَم يطير فانظر أى اضطراب وأى حمق وأى سخافة ولماذا رضوى ويلملم دون حلايا والالب؟ وهل يجمد ويتحجر الجناح فى هرم الطائر فيشبّه بالجبل الراسخ ! أم يضعف ويدق ؟

ويقول:

لعينيك ياشيخ الطيور مهابة يفر بغاث الطير عنها ويهزم

بُغاث الطير ضعافها وما لا يصيد منها ، ومنه قولهم (ان البغاث بأرضنا يستنسر) يريدون أن البغاث — مع كونه ذليلا عاجزا — لو نزل بأرضنا لانقلب نسراً . فأية قيمة (للمهابة) التى تفر منها ضعاف الطير ؟ أو ليس المعنى الطبيعى الشعرى هو قول القائل :

وكل بازٍ يمسُّه هَرَمٌ تخرى على رأسه العصافيرُ (١)

وفى صفحه ٣٢ الليل والبحر يقول .

ضل هادى العيون واحلولك الليل فلا فرق بين أعمى وهر !!!

ولهذا الظلام خير من النور اذا كنت لا ترى وجه حرٍّ

هنا تظهر سخافة هذا العقاد بأجلى مظاهرها فكلامه لئيم وأسلوبه لئيم وسرقاته لئيمة . يريد انك مادمت لاترى وجه حر من الناس فالظلام خير من النور . ألاَ ما ألأَمها ما ألأَمها . ألا يغور هذا المتشاعر فى الارض وهو يعرف انه يسرق ألأم سرقة من قول القائل

أتمنّى على الزمان مُحالاً أن تَرى مقلتاى طلعةَ حُرٍّ

هل عرفت الآن سخف العقاد ولؤم شعره وركاكة بيانه المتهدم وانه يمشي في الشعر على رجلين من الخشب !!

---

(١) أى لا مهابة له ولا خوف منه ما دامت العصافير تزرق على رأسه بخلاف ما توهم المتشاعر العقاد الذي جعل من الجناحين جبلين !!!

وفى صفحة ٣٧ يزعم المتشاعر أنه يعارض ابن الرومى ولعمرى لو بصق ابن الرومى لغرق العقاد فى بصقته . يقول

في كل روض قُرى للزهر يعمرها يا حبذا هى أبياتٌ وسكانُ

ولا أدل على جهل العقاد بالنحو والعربية من هذا فان (ابيات وسكان هنا) فى هذا التركيب يجب أن تكون منصوبة على التمييز وقد جعلها مرفوعة لانه جاهل جهلا صريحاً (١) ويقول فيها .

نفاه عن عُرُسِ الدنيا شواغله إن الحداد عن الاعراس شُغْلانُ

من أى لغة جاء « بشغلان » ؟ من قول العامة . عاملها شغلانة . . .

ومن مضحكات هذه القصيدة

بالغصن شبّهه من ليس يعرفه وانما هو للرائين بستان . .

وهل تعاقط في غصن على شجر آس وورد ونسرين وسوسان ؟

اذن هذا الحبيب أشجار مختلفة . أما تشبيهه قده بالغصن فخطأ فى رأى المتشاعر ويجب أن يشبه قده بالحقل ! ! ! أليس هذا الخلط أسقط ما يمكن أن تعثر عليه فى أسخف الشعر وفى أحط الازمنة ؟ ولكن العقاد مجدد ! « مجدد إيه وهباب إيه » . . انظر الاصل الذى سرق منه لابن الرومى

لاىٍّ أمر مُرادٍ بالفتى جمُعت تلك الفنونُ فضهنّ أفنانُ

تجاورتْ في غصون لسن من شَجَرٍ لكن غصون لها وصلٌ وهجرانُ

تلك الغصون اللواتى فى أكِنّتها نعمٌ وبؤسٌ وأفراحٌ وأحزانُ

ما أجمل هذا التصوير وأبدعه فى جعل ثمار تلك الغصون الانسانية نعما وبؤساً وأفراحاً وآلاما كما صنع المفضل الذى جعلها آسا وورودا ونسرينا وسوسانا ولو كانت القافية لامية لحسبناه يجعلها بصلا وثوما وكراثا وفجلا (٢) ! ! ! على أن المتنبي

---

(١) سيأتى كثير مثل هذا

(٢) فيقول هكذا

وهل تماقط فى غصن على شجر فجل وثوم وكراث وأبصال ! ! !

أشار الى ذلك المعنى إشارة دقيقة فى قوله : مظلومةُ القد فى تشبيهه غُصناً :

ولو كان في طبع المتنبى الغزل لأبدع واستوفى المعنى ولكنه في الغزل ضعيف جداً يقلد غيره

ويقول العقاد

يا من يراني غريقا فى محبته وجداً، ويسألنى هل أنت غصان؟

يعنى إيه ؟ الغصان من به غصة وهى ما يعترض فى الحلق فيساخ بالماء . فما معنى أن يكون الغريق غصان ؟ الظاهر أن ذلك العامى المتشاعر ظن أن الغصان معناه الظمآن والغريق لا يُسأل هل أنت ظمآن لان الماء يملأ حلقه وجوفه

وانظر قول البحترى حين لاح له مثل هذا المعنى

كان يُحيي ميِّتاً من ظمأ بعضُ ما أوبق مَيْتاً من غَرَقْ

انظر الفرق بين الشاعر الحقيق مثل البحترى والمتشاعر الدعى الغبى مثل العقاد الذى يقول

إنى الى الرعى من عينيك مفتقر ياضوء قلبى فان القلب مِدْجان

فسر (مدجان) فى الشرح بقوله : غائم ! ! ! ومدجان مفعال صيغة مبالغة فكيف تأتى صيغة المبالغة من الرباعى أى فعل أدجن ؟ (١) والظاهر أن هذا العامى فهم من معنى (الرعى) النظر ، مع أن قومهم رعاه الله لا يكون إلا بمعنى حفظه ، فالمعنى أنه مفتقر الى أن تحفظه عينا الحبيب ! ! لأن قلبه مدجان. (ياحفيظ)

الحق ان الذى يقرأ هذه القصيدة ثم يقول ان العقاد شاعر وإنه يعرف العربية لا يكون إلا مغفلا من أشد المغفلين ، وزعم ناظمها أنه شاعر واثباتها فى ديوانه هو الدليل على أنه مغفل ، ودليل آخر على أنه مغفل قوله :

والشعر من نَفَس الرحمن مقتبَس والشاعر الفذ بين الناس رحمن ! ! !

لا نشير الى إلحاد هذا الدعى الزنيم فهو يباهى به تقليدا لبعض علماء أوربا ولكنه لما كان يدعى لنفسه أنه شاعر فذ فكأنه فى رأى نفسه إله ! ! ! أغيثوه

---

(١) سقط من هذا الموضوع كلام سيأتى استدراكه فى السفود الثالث

بطبيب مستشفى المجانين أيها الناس . ومن هذه القصيدة الحمقاء :

قالوا ابن آدم من قرد فقلت لهم : كلا ولكنه فى المجر ثعبان

يعنى فى الأصل ، وهذا رد من العقاد على دارون !!! ولعله ما تبهه الى هذا المعنى إلا أنه هو كالثعبان فى أذاه وطوله ولو كانت القافية حاء لقال إنه (تمساح !!!)

ونفتح الآن صفحة ٦٠ فنراه يقول يصف امرأة فى حمام البحر

البحر يغضب وهى ضاحكة شتان بين السخط والسخر

وتميل من ظهر الى بطن طورا ومن بطن الى ظهر

هذا دليل جديد على جهل الرجل بالعروض فان آخر الشطر الأول من البيت الثانى عروض حذاء مضمرة والاضمار مع الحذذ لا يقع إلا في الضرب ، أى في آخر البيت ومعنى هذا أنه لا يجوز أن يقول فى هذا الوزن (الى بطن) بسكون الطاء بل يجب أن يكون فى مكان الطاء حرف متحرك . وفى صفحة ٦٥

ما كتب على هذا الزمان ذنوبه انا نؤجله الحساب الى الغد

ومع سخافة المعنى عدى (أجل) الى مفعولين وهو لا يتعدى إلا الى مفعول واحد ونقلب الآن صفحة ١٠٥ ضيق الامل

شر ما يلقى الفتى أجل ضيِّق عن واسع الأمل

انظر غباوة اللص لتعرف أنه لص ، وقابل هذا البيت بقول القائل

أملى من دونه أجلى فمتى أنضى الى أملى ؟(١)

بربك أليس هذا هو الشعر وكلام العقاد هو الهذيان . أعرفت الآن أن هذا السخيف لص يسرق من الجوهرى و يبيع في سوق (الكانتو) !!! ؟

---

(١) هذا المعنى توليد بديع من قول سيدنا على : ان المرء يشرف على أمله فيقطعه دونه أجله . فانظر كيف سما الشاعر وكيف سقط المتشاعر ؟

ولـلـسُّـفُـود نارٌ لو تَلَقَّتْ بجاحِمِها حديداً ظُنَّ شَحْما
ويَشْوِى الصَّخْرَ يَنْثُرُ كُلَّ رَمَادَا فكيف وقد رميتُكَ فيه لَحْما ؟

عَضَلاتٌ من « شراميط » (١)

قلنا ان هذا العقاد لص من أخبث لصوص الأدب لانه مع هذه اللصوصية يدّعى دائما ملكية ما يسرقه ؛ ومع هذه الوقاحة في الادعاء يحقد على كل من يملك شيئا من مواهب الله ، ومع هذا الحقد الدنىء لايتصور الناسَ الا على أمثلة من نفسه . ولعله لايعقل أن في أحد من خلق الله دماً شريفاً أو عِرقا سامياً ، أو أخلاقاً نبيلة ، ومن أجل ذلك لا يعرفه عارفوه الا أعمى الانصاف ، كلُّ ضدين عنده هما

---

(١) نشرت فى عدد شهر أغسطس سنة ١٩٢٩ من العصور

ضدان باسم واحد، أوهما شيء واحد باسمين مختلفين كما يقول هو فى بعض تخليطاته. فقد رأينا له اليوم فى مجلة « الجديد » مقالا عنوانه «ربة الجمال بلايدين» لم نكد نقرأ أوله حتى ضحكنا من جهل هذا الدعى العامى فهو يقول :

كان هينى الشاعر الالمانى يعبد الجمال ، و يعشق كل جميل . وكان من عبادته في جحيم ، أو قل فى نعيم !!!

خذا بطن « هرثى » أوقفاها فانما كلا جانبي « هرثى » لمن طريق

فان الجحيم والنعيم في عبادة الجمال شيء واحد باسمين مختلفين ، كما أن « هرثى » طريق واحد من حيثما أخذتها ... (١) وثق أنك اذا قلت النعيم وأنت تعنى الجحيم أو قلت الجحيم وأنت تعنى النعيم ، فلا لوم عليك ولا مخالفة للحقيقة !!! لان جحيم الجمال ونعيمه كما قلنا شيء واحد . . . . ولانهما داران موضوعتان على رسم واحد !!! وفى سمة واحدة ! ! لا فرق بينهما داخلا ولا خارجا ! ! الا للوحة التى على الباب ! !

* * *

عند هذا الحد ألقينا المقالة واكتفينا من خلط الرجل بالكلمات الأولى ، إذ لو بقى المعتوه يتكلم من طلوع الشمس الى غروبها لكان كل كلامه « باسم واحد » طبعا . وقد نبهتنا هذه الكلمات الى الاصل الذى في نفس العقاد مما يجعل الاشياء كلها شيئا واحدا فى اعتباره لا على مذهب وحدة الوجود ، فهو أبعد الناس عن فهم هذا المذهب وان ادعاه ، لان فهمه لا يكون الا بأنوار البصيرة و بادراك التجلى الأقدس ، يعنى لا يمكن فهم هذا المذهب الا بعد أن يتصفى الانسان من الرذائل كلها و يدرك بنور نفسه معنى النور الذى انبثقت منه نفسه . والعقاد فى نفسه كله رذائل وظلمات . لا يكابر في هذا الا العقاد !

***

(١) ذكر هنا حكاية البدوى الذى تمثل بهذا البيت فى حضرة عمر بن عبد العزيز فتركناها اختصاراً ولانه لم يصح نقلها

واذا كان هذا الرجل يعتبر الاشياء كلها شيئا واحدا — لا على مذهب وحدة الوجود فعلى أى مذهب إذن ؟ الجواب : على مذهب وحدة غريزته هو . لانه لو صح ما يقال في مَنْبِتِه وأصله فالفضائل والرذائل حينئذ وكل ضدين مختلفين لا فرق بينهما عند مثله الا الاسم ، وفى لغته هو : « الا اللوحة ! ! !

وقبل أن ننتقل من هنا نحلل الكلمات القليلة التى نقلناها عنه ليعرف القراء أن هذا الكاتب الكبير العبقرى ! ! ! لا يفهم ولا يكتب الا خطأ . من ضعف اذا كان هينى يعبد الجمال فهل يعبده إلا لأنه يعشق كل جميل ؟ إذن فباقى الجملة حشو جرائد . « وكان من عبادته فى جحيم أو قل فى نعيم » . ان « أو » لا تأتى إلا لأحد الشيئين . وهو يريد هنا الشيئين معاً جحيما ونعيما ؛ فلا معنى لاستعمالها وانما يتبع فى هذا التعبير صغار المترجمين الذين يشتغلون بالترجمة الحرفية ويقول كما أن « هرشَى طريق واحد من حيثما أخذتها » فهرشى يا حضرة العبقرى ! ! ! ليست طريقاً ، ولا معنى البيت يدل على ذلك ولا لها « بطن (١) » كما تقول ؛ وانما تنقل نقلا عامياً وتفهم فهماً عامياً وليس فيك من العربية إلا كاتب جرائد على مقدار « الحالة الحاضرة » ...

أصل البيت « خذا جنب هرَشى » الخ وفى رواية خذى أنف هرشى أوخذا أنف هَرشى الخ وهى ثنيَّة أوهضبة لها طريقان يُنتهى اليها من كليهما ، فمن سلكهما كان مصيباً . إذن هى ليست « طريقاً واحداً من حيثما أخذتها » ياعقاد : والعجائب كلها في باقى العبارة وهى أسطر قليلة ولكنها تدل على ذهن جبار ، جبار ، جبار ! !

رأينا مرة فتى يريد أن يظهر مظهر رجل مفتول العضل فخشا كميه

---

(١) اذا كانت هضبة أوثنية أى أرضا مرتفعة فكيف يكون لها بطن ؟ ولكن العقاد وجد الكلمة محرفة ممسوخة فنقل من غير تمييز كعادته وستأتى أمثلة لذلك وحكاية البدوى التى نقلها ممسوخة أيضا وأصلها الصحيح فى معجم البلدان لياقوت ،

وصداره هلاهيل ﴿ شراميط ﴾ !! عضلات بارزة مكتنزه ؛ لكنها عضلات من شراميط !!

هكذا اعلانُ العقاد أنه جبار الذهن . والحقيقة أن الرجل جبار الغريزة منذ كان إلى أن كان . . . فيختلط الأمر فى وقاحته وادعائه وسلاطته على الضعفاء أو على الجبناء . ولكن الذى يعرف العضلات التى تخلع مع الثياب !!! يصفع صاحبها الجبار مطمئنا ، بلا ريب

طيب !! « جحيم الجمال ونعيمه شىء واحد » فما معنى « لأنهما داران موضوعتان على رسم واحد » وهل داران على رسم واحد تكونان شيئا واحداً وتأخذ الحكومة عليهما ضريبة واحدة !! يا أصحاب الأملاك وكلوا هذا المحامى الجبار الذهن ليقنع الحكومة بهذه الفلسفة !!

واذا كانا دارين فلا معنى لأن يقول الجحيم والنعيم ، لأن النعيم هذه من تعبيرات العامه وانما تأتى مضافا اليها فيقال جنة النعيم ودار النعيم بخلاف الجحيم فانها هى الدار . ثم الداران « فى سعة واحدة » بعد أن قال حضرته انهما على رسم واحد ، العقاد اذن مهندس ممن اشتغلوا في تخطيط الجحيم والنعيم ومساح أيضا موظف في ديوان المساحة الذى وراء الطبيعة !!! وأكثر من ذلك يظهر أن هذا الصعلوك من كبار أرباب الأملاك السماوية !! فأراد مرة أن يشترى الجحيم والنعيم (فتفرج) عليهما فاذا هما « لا فرق بينهما داخلا ولا خارجاً بلا اللوحة التى على الباب » .

طبعاً طبعاً هذه اللوحة كان مكتوبا عليها : جحيم ونعيم للبيع !!! لا لا ! بل هى كما يظهر من معنى كلام الجبار لوحة من الرخام كتب عليها دار الجحيم . دار النعيم !!! او « فيلا » نعيم وجحيم ...

واذا كان هناك « باب » عليه « اللوحة » فكيف صارتا دارين ؟ كان ينبغى

أن يكون هناك بابان عليهما لوحتان ولكن يظهران العقاد رفع دعوى يطلب الحكم فيها بسد أحد البابين لانه يفتح على ملكه الخاص !!! فحكم بسده وانزال اللوحة التى كانت عليه وحينئذ صارتا دارين بباب واحد !!

أفتونا أيها القراء : أهذا جبار الذهن ؟ أهذا كاتب ؟ أهذا أديب ؟ أهذا يفهم بيان العربية ؟ أم هى صنعة جرائد ثم مغفلون من الكتاب لمغفلين من القراء؟

***

وتظاهُر العقاد باحتقار الأدباء — مع أنه فى نفسه يغلى حقدا وحسدا — طريقة مسروقة يقلد فيها الكاتب الانجليزى الشهير « برناردشو » الذى يقول انه لا يجد عقلا يستحق احتقاره الا عقل شكسبير !!!

ولكن انظر الفرق بين الأصل والتقليد ، « برناردشو » يحتقر النوابغ من جهة عقليته فلا يحسد ، والعقاد من جهة نفسيته فلا يعقل ، والاول يضع الآراء ويبتكرها والثانى يسرق ويدّعى ، وذلك يحتقر احتقارا ساميا أساسه التظرف ، وهذا دنىء دنىء أساسه الحسدُ ولؤم الطبع والعاميةُ الثقيلةُ الآتيةُ من الشوارع ، تلك التى توهم أهلها أن الأسمى لابد أن يحتقر الأدنى ، فاذا تظاهر العامى الوضيع باحتقار رجل شريف أونابهٍ عظيم كان ذلك فى منطقة دليلا مقنعاً للناس أنه هو الأسمى والاشرف والأعظم !!! فالعقاد لص حتى فى الصفات . وحسبُكَ بهذا

ومع أن برنارد شو ذكى نابغة فقد خرجوا من نقده وتحليله بأنه كالمخدوع المغرور أو هو مخدوع مغرور على الحقيقة يمتاز بنقائصَ وعيوبٍ اختص ببعضها وشارك الناسَ فى بعضها ، وأن ثقته بنفسه تُفقد الناس الثقةَ به فقد يعتقد أنه جاء بالكلمة الاخيرة في الموضوع الذى يعالجه فى حين أن النقاد يكونون مقتنعين بأنه لم يفهم قط ، وينتهى من ذلك الى أسخف الآراء وأبعدها فى الخطأ مكانا ، بحيث يرجع احيانا من شدة سمو الذى يتوهم وليس فيه الا رجل عامى سطحى ضعيف .

***

هذا في برنارد شو الذى ولدته أمه برنارد شو ، فكيف الحال في لص مقلد بينه و بين شو مثل ما بين بلديهما أسوان ولندن ؟

ولكن لو سألت العقاد فى هذا لما كان شيء أسهل عليه من الجواب ، فانه يقول إن أسوان ولندن شيء واحد « لا فرق الا اللوحة » وبرنارد والعقاد شي واحد لا فرق الا . . . والله ما انا عارف الا إيه يا عقاد ؟ !

وما دمنا فى بيان سوء فهم هذا المغرور فنقول إن بعض الأدباء سألنا عن رأى نشره العقاد فى مجلة « الجديد » يعلل فيه ميل ابن الرومى إلى الهجاء ، و إقذاعَه فيه و إفحاشَه فى السب وذلك حيث يقول العقاد فى تلك المقالة : « فالرجل (ابن الرومى) لم يكن شريرا ولا ردىء النفس (خذ بالك من ردىء النفس فلماذا إذن كثر هجاؤه واشتد وقوعه فى أعراض المهجوّين ؟ نظن أنه كان كذلك لانه كان طيب السريرة » انتهى بحروفه .

نقول إن صح هذا صح مذهب التناسخ و يكون ابن الرومى قديما هو هو عباس محمود العقاد اليوم ، جاء كما كان من قبل تماماً !! جبارا عند نفسه وقحاً عند الناس . لئيما عَسيرًا لانه سهل طيب السريرة

* * *

يقول العقاد « كان ابن الرومى هجّاء مُقْذِعاً فى الهجاء وكان لأهاجيه أثر كبير في حياته وفي شهرته (تأمل)(١) . والواقع أن ابن الرومى لم يدع أحداً من النابهين فى زمانه إلا هجاه أو أنذر بهجائه . هل كان ابن الرومى شريراً لانه كان كثير الهجاء ؟ لا بل هو لو كان شريراً لما اضطر الى كل هذا الهجاء أو لو كان أكبر شرا لكان أقل هجاءً لأبناء عصره . ما كان هجاؤه يشفُّ عن الكيد والنكاية كما كان يشف عن الحرَج والتبرم » هذا كلام جبار الذهن المضحك وقد وقفنا

(١) لم يسلم اديب ولا عالم من لسان العقاد أو قلمه فكلامه نص فى أنه يعتقد ان هذا سبب كبير للشهرة . . . وأنه يعمل بما يعتقد

من نقله عند كلمة « الحرج » لانها أذكرتنا ما نعلمه من أن أديبا لام العقاد يوما على حقده ، وكلمه فى أن هذا عجز منه وضعف ، لانه لو كان قوياً لنازل وصارع وأعطى كل ذى حق حقه ، فان القوة تُعْجَبُ بالقوة وتُقر لما هو أقوى . وقال له إن المتلاكمين أو المتصارعين يتصافحان على الحلبة ثم يتلاكمان ، وقد يتصارعان أحدهما ثم يعودان صديقين لأنهما فى قانون القوة الانسانية لا الوحشية . فقال العقاد : أنا طيب السريرة ولكن الناس يُحرجوننى أحيانا .

كل كلام الرجل عن ابن الرومى هو من كلامه عن نفسه لذلك الأديب ، فلؤم ابن الرومى وسبابه وافحاشُه وبذاءته وهجاء كل من مدحهم ووقوعُه فى الاعراض ، كل ذلك لانه طيب السريرة !!!

تعالوا يا علماء الاخلاق والآداب نخذوا هذا الاكتشاف الجديد عن جبار الذهن الذى لا يعرف ما هو الهجاء فى الشعر العربى ولا ما هو تاريخه ، وأصلحوا لغات العالم كلها فى تحديد معنى السفاهة والبذاءة وفحش القول ولعن أعراض الناس ، فقولوا إن كل ذلك معناه ومنشؤه طيب السريرة ! ! على ما حققه جبار الذهن المسمى عباس العقاد ! !

* * *

لقد سئمنا هذا الهذيان من هذا السخيف ولكن انظر التركيب العربى في كلامه لتعرف أنه هو لا يفهم ما يكتبه وله من مثل هذا كثير جداً . يقول ان ابن الرومى لم يكن شريراً لانه كان كثير الهجاء . ثم يقول لو كان شريرا لما اضطر إلى كل هذا الهجاء . والمعنى الصريح فى العبارتين ان كثرة الهجاء دليل قاطع في نفى الشر عن الرجل . ثم يقول « لو كان أكبر شرا لكان أقل هجاء » وهذه العبارة قاطعة فى أن ابن الرومى كان شريراً لان أفعل التفضيل (أكبر) لا يذكر فى الكلام إلا لتحقيق الزيادة فى صفه يشترك فيها شيئان ويزيد أحدهما فيها على

الآخر . فالمعنى بهذا التركيب ان ابن الرومى شرير ، ولكنه قليل الشر لأنه كثير الهجاء !! ولو كان أكبر شرا لكان أقل هجاء .

اذن فالعبارتان السابقتان فى نفى الشر لغو لا معنى لها الا ثرثرة جرائد لا تميز الصحيح من الفاسد ، وهما دليلان لا دليل واحد على أن العقاد كاتباً ، كالعامى قارئاً سواء بسواء ؟ كلاهما غير تامّ وعلى غير قاعدة

وفى هـذا المقال الذى سألنا عنه الاديب يفسر (جبار الذهن) بيتا لابن الرومى هو قوله :

لا يغضبنّ لعمرو من له خَطَرٌ فليس يرضى بظلمى من له خطر(١)

قال (جبار الذهن) : كأنه يقول لقد صبرت على عمرو فرضي الناس بظلمه إياى فاذا هجوته أنا الان فما يحق لذى خطر أن يغضب له وهو منصف بينى وبينه(٢)

ماذا فهمت أيها القارىء من (جبار الذهن) فى تفسيره ؟ أين صبر ابن الرومى على عمرو وفى هذا البيت الذى ترتب عليه رضا الناس بظلم عمرو لابن الرومى ؟ ثم إن ترتيب رضا الناس على صبر الشاعر — بدليل استعمال الفاء فى قوله فرضى الناس — يفهم منه بدلالة اللزوم انه لو لم يصبر ابن الرومى لغضب الناس على عمرو ولم يرضوا بظلمه للشاعر . فاذا كان كذلك فلماذا صبر ابن الرومى وهو يملك هذا السلاح الماحق ، سلاح الرأى العام الذى انعم الله عليه به بعد موته !!! باكثر من ألف سنه على يد جبار الذهن ؟

صَبَرَ ابنُ الرومى على الظلم فرضيه الناس له ، فاذا نفد صبره الان وهجا عمرا فلا يحق للناس أن يغضبوا لعمرو اذا كانوا منصفين . هذا هو وجه العبارة لو كان العقاد يحسن الكتابة . ولكنه خلط فجعل الناس يرضون جملة بالظلم ثم لا يغضب منهم حين الغضب « الا ذو خطر » وجعل ذا الخطر هو الذى ينصف وحده حين

---

(١) الرواية فليس يرضى بضيمي

(٢) مجلة الجديد عدد ١٣ مايو سنة ١٩٢٩

قصر عليه الجملة الحالية . وهذا من تلفيق الرجل وتعميته على القراء ليوافق كلامه الفاظ البيت ، اذ لو قال رضى « الناس » ولا يحق «للناس» أن يغضبوا لتعرض للفضيحة لأن الشاعر نفسه لا يريد « الناس » بل من له خطر منهم .

ويبقى انه يلزم من تفسير العقاد أن الناس فى عصر ابن الرومى كانوا على هذا الشأن فيما بينه وبين عمرو فقط واهملوا أمره مع كل من هجاهم وكل من ظلموه وكل من صبر عليهم . وهذا (فتح جديد) فى التاريخ ويجب أن يضاف الى اكتشافات العقاد ولعله كان كذلك لانه عمرو بن أم عمرو الذى قال فيه الشاعر

اذا ذهب الحمارُ بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار !

نحن على يقين أن هذا العقاد ضعيف الفهم وهو يهرب دائما من التفسير في الاداب العربية لهذه العلة ، فان وقع مرة وقع على أم رأسه كما نرى فى هذا البيت . ومع أن الكتب الاوربية التى يُغير عليها كثيرةُ الشروح والتماليق والنقد ، فله سخافات فى فهم الآراء الدقيقة منها كما سنبين ذلك . وما غطّى عليه الا أنه دائما يسرق فيلخص وينتحل ولا يبين الاصل الافرنجى الذى يُغير عليه ليتمكن المقابلة

معنى بيت ابن الرومى هو هذا : ان عمرا ذليل لا خطر له ولا شأن ؛ ولذلك لا يغضب له من له شأن ونباهة ، فان من كان بهذا الوصف لا يرضي بظلمى لمنزلتى عند ذوى الخطر ، وانما يرضى بظلمى السفلة وامثالهم من الحشوة والطغام الذين لا يدركون قيمة الشعر وشاعره وليس لهم أعراض ولا مناصب يخافون عليها الهجاء على حد القول المشهور :

إذهبْ فأنت طليقُ عِرْضِكَ إنه عِرْضٌ عززْتَ به وأنت ذليلُ !

وكل تاريخ الأدب العربى في باب الهجاء ناطق أنه لا يخاف الهجاء ولا يتحاماه إلا ذو خطر من عرض ونسب وجاه الخ الخ .

هذا على اعتبار ان « لا » في قوله (لا يغضبن) نافية فاذا كانت للنهى

كان المعنى هكذا : لا يغضب ذو خطر وشأن لعمرو لان ذ الخطر يتقينى ويخشانى فلا يرضى بظلمى فلا يغضب لمن ظلمنى .

وعلى كلا الوجهين فأساس البيت هَوانُ عمرو على الناس ونفر ابن الرومى بصولته وخشيةِ ذوى الأحساب والمناصبِ والجاه من لسانه وهجائه . (١)

نحب الآن أن نعرف من هو أجهل الناس وأبلدهم وأشدهم جبنا ؟ فان صاحب هذه الصفات مجتمعة هو الذى يغضب لعمرو ! ! ! ويجرؤ على المكابرة بعد هذا البيان فيقول إن العقاد يفهم الشعر وانه يجوز له ان يكتب فى الأدب

***

ونعود الى نظرة سريعة في شعر جبار الذهن ، وهذا الجبار أهون علينا من أن نضيع الوقت فى قراءة شعره أو كتابته قراءةَ تتبُّع واستقصاء . انما سبيلُنا أن نفتح أيةَ الصفحات من ديوانه أو عددا يكون أمامنا من مجلة « الجديد » التى يكتب فيها الآن(١) فاننا لتراكم الاعمال لا نقرأ المجلات الا بعد صدورها بزمن ، ولكننا نقرأ ما نحبه منها على كل حال ومنها مجلة « الجديد »

---

(١) بعد أن نشر هذا الكلام رجعنا الى ديوان ابن الرومى وقتشنا عن القصيدة التى منها هذا البيت فما كان أشد عجبنا من بلادة العقاد وخبثه وتعميته على القراء وتغفلهم ليوهمهم أنه فكر وفسر ، وما كان أثبت يقيننا بان هذا العقاد ضعيف الفهم لا ينبغى له أن يتكلم فى الأدب .فالبيت من قصيدة طويلة يهجو بها عمرا النصرانى الذى أولع بهجائه وكان كاتبا لابن الوزير . ويريد الشاعر ان لا يغضب ابن الوزير لكاتبه واليه اشار بقوله (من له خطر) فهو يعنيه وحده بهذه الاشارة وقد مدحه فى آخر القصيدة . وفى ابيات اخرى هجاها عمرا هذا يقول منها

ألا يا ابن الوزير ألا انتزعه ولا تغرسه قبح من غريس

أى اعزله من عمله ولا تغرسه فى نعمتك . فلا ابن الرومى صبر على عمرو ولا الناس رضوا بظلمه اياه ولا شىء مما خلط به العقاد ولعن الله الغفلة والشعوذة على القراء ، بمثل هذا الهراء ...

على غلاف ديوان العقاد هذه الكلمة (أربعة أجزاء في مجلد واحد) والديوان ورق لا يساوى ثمن تجليده ولم يخرجه صاحبه مجلدا فما معنى ﴿ مجلد واحد ﴾ وكلمة مجلدة أو مجلد لا تستعمل إلا فى الكتاب يغشّى بالجلد لأنها من جلّد ، أى وضع الجلد عليه . واذا صح أن كل مطبوع يسمى مجلدا جاز حينئذ أن يكون معنى العبارة ﴿ أربعة مجلدات فى مجلد واحد ﴾ هذا أيضا من جهل الجبار لانه يريد فى سفر واحد أو كتاب واحد أو مجموع واحد (١)

وبهذه المناسبة رجعنا الى أوائل الاجزاء فاذا اسم الجزء الاول « يقظة الصباح » والثانى ﴿ وهج الظهيرة ﴾ والثالث أشباح الاصيل والرابع أشجان الليل وهذه الاسماء لم تكن من قبل حين طبعت الاجزاء قديما وانما لفقت حديثا فى السنة الماضية عند طبعها فى « مجلد واحد » !

حسن جدا (وجدا حسن) ؟ ولكن من أين جاء هذا التخليط ؟ يقول جبار الذهن فى كلمة الختام فاذا قرأ القارئ فربما وجد فى أشجان الليل ماهو أخاق بوهج الظهيرة . أو وجد فى يقظة الصباح ماهو أخاق بأشباح الاصيل ، الجبار إذن يقر بالتخليط و يعترف به لانه لا يستطيع أن يكابر أن كل نظمه هراء في هراء فاذا كان هذا الخلط واقعا معترفا به فما معنى هذه الاسماء ؟

معناها أن العقاد رجل دعوى وتدجيل وغرور فيسرق ويدعى الملكية ، هو يعترف أن الاسماء ليست على مسمياتها ، إذن فهو لم يضعها لانه لا يخطر لمؤلف مهما كان جاهلا أن يضع اسما على غير مسماه إذن فهو قد سرقها وهذا هو الصحيح

وضع الشاعر الفرنسى الكبير ملكريور دفوجيه Melcrior deVogué عضو

---

(١) كان ذلك فى صيف سنة ١٩٢٩

(٢) وهذه العبارة أيضا سرقها العقاد من طابع مختصر ديوان ابن الرومى فان هذا كتب على الديوان (ثلاثة أجزاء فى مجلد واحد) . وأعجب وأعجب . . .

الاكاديمية الفرنسية رواية شعرية سماها (جان داجريف) Jean'Agreve وجعلها أربعة أناشيد لانها تصف حياة حب بديع منذ بدئه الى منتهاه ، ومن أمله الى خيبته. وسمى النشيد الأول (الفجر) والثانى (الظهيرة) والثالث (الأصيل) والرابع (الليل) لان فى الاول انبثاق نور الحب وفى الثانى توهجه ومع الثالث تخافته وعند الرابع ظلامه وفناءه

أضواء على مسمياتها كما ترى وهو فى كل نشيد يبدع فى التصوير والقصة والحادثة ولا يعدو الحد الذى يفصل بين الاسمين ؛ بل ر بالقصة وحوادثها ومعانيها كما تمر الشمس من لَدُنْ تطلع الى أن تغيب وتظلم خلفها الدنيا فتموت الحبيبة في ناحية والمحب فى ناحية أخرى .

ومع اعتراف جبار الذهن أن هذه الاوضاع لا تنطبق على سخافاته التى سماها « أربعة أجزاء في مجلد واحد » فان طبع اللصوصية المنغرس فيه أبى عليه الا ان يسرقها ويدعيها ويذهب المذاهب فى تعليلها تدجيلا وتعمية على القراء. وهذا كله صريح فى أنه لص مخادع مدع لا يحترم نفسه ولا الناس ولا الحق

عجيبه عجيبة . نفتح الآن صفحة ١١٣ من « يقظة الصباح ! ! ! فماذا نرى؟ تهنئة بعيد :

عثمان يا عيد من يحظى بصحبته ... بلغت ما شئت فى الأيام والناس

أولى الأنام باسعاد وتهنئة ... من كان كالعيد فى بشر وايناس

اذا بلغ الحرص بشاعر على أن يثبت في ديوانه مثل هذين البيتين فقل فيه ما شئت ولا تبال واعلم أنك مصيب فى كل ما تقول .

ومن فساد الذوق في « جبار الذهن » أنه يدعو على الناس فى يوم العيد لأنه يدعو لعثمان ان يبلغه الله ما يشاء فيهم . وماذا يشاء عثمان فى « الناس » ؟ أيجعلهم عبيدا له أم يأكل أموالهم أم ينكبهم وينتقم منهم ؟ ان العبارة نفسها فى هذا التركيب لا تقال الا فى الشر فانك تقول لانسان بلغك الله ماشئت فى أعدائك

ولا يمكن أبدا أن تقول بلغك الله ما شئت فى اصدقائك وأصحابك اذ لايشاء (فيهم) ولكن يشاء (لهم) .

ومعنى البيتين مبتذَلٌ متداوَلٌ على ألسنة الناس حتى العامة وقد مسخ المتشاعر كلام المتنبى في تهنئة سيف الدولة بعيد الأضحى في قوله :

هنيئاً لك العيدُ الذى أنت عيدُه ... وعيدٌ لمن سمَّى وضحَّى وعيَّدا

فذا اليومُ فى الايام مثلُك فى الورى ... كما كنتَ فيهم أوحداً كان أوحدا

المتنبى جعل أميره عيدا للعيد ولأهل العيد ، والمتشاعر جعل عثمان ! ! عيد من يحظى بصحبته . والمتنبى جعل يوم العيد فى تفرده مثل الامير فى كونه أوحد الناس ، والمتشاعر جعل عثمان (كالعيد) فى بشر وإيناس « وزمَّارات ولعَب وكعك وغريبة » ! ! ! من الاهانة للمتنبى أن نقول ان العقاد سرقه وان كان سرقه ، ولكننا فى كل ما نذكر من سرقات هذا المتشاعر « الجبار » لا نريد الا أن يقابل القراء بين الشعر الحقيق فى قوته ومتانته وإحكام صنعته وبين الشعر الزائف المنحط فى سخافته وركاكته مع انه مسروق من ذاك ! ! فلو أخذه شاعر حقيق يستحق اسم الشاعر لجاء به على الأقل ؛ على الأقل فى طبقة الأول ان لم يكن أبدع وأسمى منه . ولم ينزل إن لم يَعْلُ ولم ينقص إن لم يزد .

فاذا كان جبارنا المضحك يسرق ومع ذلك لايجيئنا الا بالسخيف الذى لايذكر بجانب الاصل فانه . . . فانه إيه ؟

فانه سيفُ نجَّار ! ! ! تَقَلَّده ... مَنْ زَنْدُه عَضَلاتٌ من شرامِيط ....

على السفود

ولا سفود نارٌ لو تلقّتْ بجاحِمِها حديداً ظنَّ شحما
ويشوى الصخرَ يترُكُ رَمادا فكيف وقد رميتُكَ فيه لحما ؟

جبار الذهن المضحك[1]

لا بد أن يكون قراء المصور قد تنبهوا إلى غلطات مطبعية تقع أحيانا فى هذه السفافيد لا تُخل بالمعنى ، ولكن العجيب أن الأقدار أوقعتنا فى غلطة بعثت عليها العجلة — فى طبع المصور — فسقط سطر كامل من السفود الأول عن جبارنا المضحك . ولما تأملنا وضوءه ظهر لنا أن القدر يلفتنا بهذه الغلطة

(١) نشرت فى عدد شهر سبتمبر سنة ١٩٢٩ من المصور

المطبعية إلى جهلة من أقبح جَهَلات العقاد ويبين لنا عن مقتل من مقاتل هذا المغرور لم نكن تنبهنا اليه من قبل وهو كما يقولون في لغة الملاكمة من مواضع الضربة القاضية .

ولا ريب عندنا أن العقاد بعد هذه السفافيد كالمرأة بعد سقوط أسنانها ! ! لو وَجَدَتْ من يُطَعِّم خديها من شجرة تفاح ، وثدييها من شجرة رمان ، وشفتيها من فرع ورد ، وقامَتَها من غصن بان ، (وكان) يجعل نظراتها من أشعة رنتجن ، وابتساماتها من أشعة إكس ، « ولهلوبتها » الغرامية ! ! ! من الاشعة التى وراء البنفسجية — لما وجدت مع انفضاض فمها وسقوطِ أسنانها وانخسافِ شدقيها من يعيرها نظرةً أو لفتةً إن كان في عينيه نظر .

قلنا فى السفود الاول عند قول هذا المتشاعر

إنى إلى الرعى من عينيك مفتقر يا ضوء قلبى فان القلب مِدجان

فسر (مدجان) فى الشرح بقوله غائم!!! ومدجان مفعال صيغة مبالغة ، فكيف تأتى صيغة المبالغة من الرباعى أى فعل أدجن ؟

وهنا موضع ما سقط من المطبعة وهو : « مع وضعهم وزناً خاصاً للمبالغة : فى هذه المادة وهو فعل ادْحَوجَن »

ولكن سقوط هذه العبارة جاء كما قلنا اعلاناً من القدر أنه لا يرضى هذه الضربة لان ههنا موضع ضربة قاضية يجب أن يخرَّ بها (الجبار) للبدين والفهم . وبيان ذلك أننا أحسنا الظن بالعقد وكنت فى اعتبارنا بقية أنه على شىء من العربية لأننا إذا وصفناه بالعامى فلا نعنى أنه من عامة السوقة ، بل من عامة محرري الجرائد . ولما رأيناه يقول إن القلب مدجان لم يكن لنا سبيل الا أن نعد (مدجان) صيغة مبالغة إذ أخبر بها عن مذكر وهو القلب ، وصيغ المبالغة لا تأتى من الرباعى الا ألفاظاً مسموعة منها حسّاس من أحس ، ومعطاء من أعطى ، ومعوان من أعان ومِتلاف من أتلف عند من يراها من أوزان الكثرة وهى في الحقيقة زيادة فى

وزن مِتْلَف، لانهم يقولون. فلان مِخْلَف مِتْلَف، فلما ارادوا الزيادة فى المعنى قالوا مخلاف متلاف.

ولكن كل هذا انما هو سماعى فى أفعال لم تأت منها أوزان أخرى لتحقيق معنى المبالغه ﴿ وأدجن ﴾ وضعوا منه فعلا خاصا للمبالغة وهو قولهم (أدجَوْجَن) فلا ضرورة لارتكاب الضرورة و بذلك لا يجوز قطعا لعربى ولا لأعجمى ولا لمولَّد ولا لعامىّ كالعقاد ان يجعل (مدجان) صيغة مبالغة . هذه غلطة فليعدّ القراء

اذن فمن اين جاء العقاد بالكلمة ؟ إنه لم يَصُغْها وانما نقلها وهنا موضع جهله العجيب فانهم يقولون : ليلةٌ مِدْجان أى مظلمة ولا يوصف بها الا المؤنث لانها من الكلمات التى جاءت فى نعت المؤنث بغير هاء وشُبِّهت بالمصادر لزيادة الميم فى أولها . ومنها امرأة مِفْتان ومِنْهاج ومعطار ومِئْناث تلد إناثا ومِذْكار تلد ذكورا الخ الخ فظن العقاد ان الكلمة لمطلق الوصف ، فنعت بها المذكر وهم لا يقولونها الا فى المؤنث خاصة . وهذه غلطة ثانية

وقلنا فسر (مدجان) فى الشرح بقوله غائم !!! وسكتنا عند هذه العلامات ومعناها ان هذا التفسير العقادى ﴿ بَزْرَميط ﴾ كما يقولون ، لأنه يشترط فى استعمال هذه المادة ان يكون فى الجو مطر أو أَخفُّه أى الضباب ولذلك يقولون أَدْجَن المطر فلم يُقْلع أياماً أى دام عليهم ، ويوم دَجْنٌ اذا كان ذا مطر . فاذا كان الغيم وحده ولا ضباب ولا مطر ولا جوّ ريّان خففوا الكلمة فقالوا يوم دَغْن (بالغين المعجمة) والغين أخف من الجيم وهذا من مذاهبهم العجيبة التى تكاد تكون فوق العلم وفوق العقل أيضا مما يدل على أن هذه اللغة قد أراد بها الله الذى ألهمها العربَ أن يبيِّنها لمعجزة حقيقية وهى القرآن (١) وأنت ترى أن الغين اخف من الجيم لتدل على ان ظلمة هذه أقل من تلك — وهى ايضا أجف منها

---

(١) انظر فلسفة ذلك فى الجزء الأول من تاريخ آداب العرب وستصدر طبعته الثانية قريباً من مطبعة العصور

على فَعْلى من المواترة أى المتابعة وِتْرا وترا وأصلها واو فأبدلت نحو تراث وتجاه (١). فمن صرفها جعل الألف زائدة لا للتأنيث ومن لم يصرفها جعل الفه للتأنيث . وقال الفراء يقال تترّى (بالتنوين) فى الرفع وترى (بالتنوين) فى الجر وترّى (بدون تنوين) في النصب والالف فيه بدل من التنوين .

فياصاحب مرحاضهُ مالك وللشرح واللغة وأنت لا تفرق بين الاسم والفعل في كلمة مشهورة واردة في القرآن الكريم . أما والله لقد خرج شرحك على ديوانك كشرح أبي شادوف !!!

وقد شممنا هذه الاغاليط فنقف منها عند هذا الحد . ومن عامية هذا العقاد أنه يستعمل فى نظمه عمدان جمع عمود ورجل عميان أى أعمى وشغلان من شغل: وسأمان من السأم وغرقان وكظان من الكظة وخيطان جمع خيط وكل ذلك عامى لا يعرف فى اللغة وله مثل هذا كثير

ولنفتح صفحة أيضاً . قال المراحيضى فى صفحة ١٢٤ يطلب صورة حبيبه

آه لو يقرب البعيد وآه ... لو تدانى البعيد من أوطارى
أأقاسى بعدين بعداً من اليأ ... س على قربكم وبعد الديار
يا حبيبى وهل يكون حبيباً ... من بلائى بحبه واشتهار
بَرِّد القلب الخ ...

بَرِّدْ ياحبيب المراحيضى بَرِّد فما انت والله إلا أبرد منه !! ما أنت إلاّ لوح ثلج (يابعيد) ألا تراه يقول آه لو يقرب (البعيد)... ليت شعرى كيف خذلت زعقاد في هذا عاميته الأصيلةُ مع أن النكتة في (البعيد) ظاهرة كل الظهور ؟

ثم يقول أنه يقاسى بعد اليأس على أن الحبيب قريب وبُعدَ الديار فكيف

---

(١) يريد أن أصلها من وتر فابدلت الواو تاء كما فى تراث وهو من ورث وتجاه هو من وجه

يكون قريباً مع بُعد الديار ؟ ان هذا ينقض ذاك والمعنى مسروق محول من قول ابن الرومى فى الرثاء

طواه الردى عنى فأضحى مزارُهُ بعيدا على قرب قريباً على بعد

والمراحيضى يذكر بعدين سخيفين لأن اليأس ليس بعدا بل اذا كان كما قالوا إحدى الراحتين فهو ولا جرم أحدُ القُربين أو أحدُ الوصلين . وانظر أين هذا من قول الشاعر المبدع الذى يعرف الحب ويعرفه الحب

يا غائباً بوصاله وكِتَابِهِ هل يُرْتَجَى من غيبتيكَ إياب

آه لو كان هذا الشاعر قال :

« أفما لاحدى غيبتيك إياب » إذن لجن العشاق بكلامه .

والبيت الثالث للمراحيضى فى نهاية الركاكة وأصل هذا المعنى فى قول الأرجانى:

إذا رمتمُ قتلى وانتم أحبتى فما ذا الذى أخشىَ إذا كنتمُ عِدَى

وفى صفحة ١٧٥ يقول

لازمتنى فى جفونى وتسهدى طيفٌ يساور أو سوادٌ عابرُ

وهو لحن إذ يجب أن يقال طيفا وسوادا عابرا ولاسبيل غير ذلك لانهما بيان لحالى الملازمة فى النوم والسهد . ثم إذا لازمه حبيبه طيفا فى نومه فما معنى « سواد عابر » في السهد والأرق ؟ « يكونش العقاد يتغزل فى خفير الحارة !؟ لانه وحده السواد العابر طول الليل فى يقظة المراحيضي !!! »

وفى صفحة ٦١ يقول

تطلع لايثنى عن البدر طرفه فقلت حياء ما أرى أم تغاضياً

وهو لحن إذ يجب أن يقال حياء أم تغاض بالرفع لا غير لتتم الجملة التى هى مقول القول .

وهذه القصيدة كلها معان ممسوخة ولذلك خرجت من أبرد شعره أنظر قوله .

وأنتم كما أبرد غلق وهيهات لا تلقى مع النار راويا

لايبرد نارة تفر حبيبه !! أين هذا من قول ابن الرومى ومنه سرق :

أعاتبها والنفسُ بعدُ مشوقةٌ اليها وهل بعدَ العناقِ تَدانى
وألثم فاها كي تزول حرارتى فيشتدّ ما ألقى من الهيمانِ
وما كان مقدار الذى بى من الجوى ليشفيه ما تلثمُ الشفتانِ
كأن فؤادى ليس يَشفى غليلهُ سوى أن يرى الروحين تمتزجانِ

هذا وأبيك الشعر والبيت الأول وحده بخمسة وعشرين عقادا وقد مسخه هذا المغرور في قصيدته أيضا .

وقف عند أبيات ابن الرومى هذه ليفرغَ القارىء من نورها على روحه فترْحَضَ عنها أقذارَ شعر المراحيضى أخزاه الله فان كلام هذا الثقيل لو ظفرت به الكيمياء الحديثة لأخرجت منه غازات ملوثة . وغازات مقيئة وغازات للصداع وغازات خانقة !

ولعل العقاد يعلم بعد الآن أنه في شعره ومقالاته كالمستنقَع في قرية ؛ هو وإن كان عند نفسه أقيانوس القرية وصبيانها ! لكنه ليس كذلك لا فى العلم ولا فى الحق ولا عند غير الصبيان ! ولا ينفعه شيئاً أن يستدل على أنه أقيانوس بتلك البواخر العظيمة السابحة فيه التى يسميها بلسانه بواخر ويسميها الناس ضفادع ...

فكأنهم يقولون بهذا التعبير ان اليوم غيم جاف لا مطر ولا ضباب ولا رطوبة وهذه غلطة ثالثة للعقاد

ثم ان كلمة مدجان ثقيلة أثقل من ذوق هذا العقاد ولا تكاد تصيبها بهذه الصيغة فى نظم شاعر يذوق البلاغة ويعرف مواقع الحروف وسحر تأليفها ؟ ولما اضطر ابن الرومي الى استعمال هذه المادة جاء بالمصدر منها فقال يصف الجميلة الناعمة تحت بخور النَّد :

يغيمُ كلَّ نهار من تجامرها ... ويُشمِسُ الليلُ منها فهو ضَحْيانُ
كأنها وعَنانُ النَّدّ يشملها ... شمسٌ عليها ضبابات وإدجانُ

وكذلك فعل الشريف الرضى فقال

يرمي وجهة الرئال اذا آ ... نس لونَ الاظلام والادجان

فانظر كيف جاءت الكلمة ظريفة خفيفة كأنها من النور لا من الظلمة . ولكن أين من هذا العلم وهذه الصناعة وهذا الذوق صاحب

يا ضوء قلبي ... فان القلب مدجان

وهذه غلطة رابعة للعقاد فى كلمة واحدة ! ! !

ثم إذا كانت هذه المرأة التى ابتلاها الله بثقل العقاد أعنى عزّته — اذا كانت (ضوء قلبه) وكان يعبر عنها بقوله (يضوء قلبي) فكيف إذن يجوز له أن يقول (ان القلب مدجان) وأين ذهب الضوء باعتقاده مع أن العبارتين فى شطر واحد ؟ هذه غلطة خامسة فى الكلمة نفسها

وهذا المعنى الذى جاء به (الجبار) فى بيته المتهدم الخرب كثير في الشعر لان الجمال في نفسه ضوء ولكن الشعراء يتفاوتون فى رسمه وتصويره والحيلة على إبرازه ويتفاضلون في ذلك بمقدار مايختلفون في القوة والملكة والبيان كحالهم فى كل المعانى المشتركة انظر مثلا قول ابن نباتة السعدى

عجبت له يُخفي سُراه ووجهُهُ ... به تُشرِقُ الدنيا وبالشمس يَعْدُهُ

فقل إنه رجل عامى بل العامة خير منه لان الملكة الشعرية فيهم تنصرف دائما الى ابداع التركيب في أوضاعهم فترى لهم الاستعارات والمجازات كما ترى لفحول أهل البيان وهذا هو شعرهم . ولكن جبارنا المضحك ساقط فى الجهتين لا الى العامة ولا الى الفصحاء

ومما يدل على بلاهته العجيبة وعلى كذبه ولؤمه وأنه ابن الحقد ميراثاً وأن ليس فى طبعه أن يقر لأحد أو يطيق إحسان كاتب فى كتابته أو شاعر في شعره — أنه كتب مقالات فى البلاغ الاسبوعى بعد موت رجل الشرق المغفور له « سعد باشا زغلول » اطمأن فيها إلى موت الرجل العظيم اطمئنانا تاما وذهب يرفع نفسه بأوضاع يزورها على سعد ؛ فكان مما كتبه قوله : انه جرى يوما في حضرة سعد ذكر كتاب من الكتب الحديثه فقال سعد ، إن عيب صاحب هذا الكتاب كثرة استعاراته

قال العقاد . ألا ترى ياباشا أن الاستعارة في الكلام كالاستعارة في المال دليل على الفقر ؟

قال سعد للعقاد : ولذلك انت لاتستعير

هذا ما كتبه الجبار المضحك ومعناه أن العقاد فى رأى سعد باشا أغنى الكتّاب فى بلاغته بل هو بليغ لانظيرله في تاريخ البلاغة إذ لا يحتاج الى الاستعارات لانه غنى عنها وعن كل الوسائل البيانية

ومعناه أيضا أن سعد باشا رحمه الله وكان أبلغ خطيب ومتحدث فى الشرق كله هو — فيما يعلن عنه العقاد — أجهل الناس بالبلاغة فى الشرق والغرب بل في تواريخ الامم كافة ، إذ يرى أن البيان والبلاغة فى تجريد اللغات من استعاراتها والرجوع بها إلى أطوارها الاولى الساذجة من الاصوات والاشارات التى يكفى فيها أن تدل دلالةً ما على معنىً ما بوجهٍ ما . فالاستعارات فقر وعلى ذلك فكل أدباء الدنيا حمير ؛ والانسان الادبى وحده هو العقاد الذى لا يستعير

واذا أنت رأيت استعارة فى كلام أمة من الامم فقل إن سعد باشا يراها أجهل الامم وأقرها فى البلاغه . واذا قرأت فى القرآن مثلا قوله تعالى : « واخفض لهما جَناحَ الذلِّ من الرحمة » فقل ان سعد باشا يرى هـذا فقرا فى القرآن فيما نقل عنه الأحمق الكذاب المغرور عباس العقاد

وانظر أين معنى «الاستعارة» فى المال من معنى الاستعارة فى الكلام ؟ ولكن هذه هى طريقة العقاد فى جهله بالمعانى ومجازفته بالالفاظ وكذبه على الناس . وهل ينزل سعد باشا إلى هذه المنزلة التى لا يفرق فيها بين اقتراضك شيئا من مال غيرك لأنه ليس معك منه ، وبين إبداعك بقريحتك في إخراج صورة جديدة من اللغة ليست فى اللغة تزيد بها الثروة البيانية ؟ وهل سعد باشا وهو أعظم حَمَلة القانون كان من الجهل بالفقة والاصطلاحات القانونية بحيث يسمى الاقتراض من المال « استعارة » فيقول استعار منه قرشاً في مكان « اقترض » ويقول عليه استعارة اى قرض ودَين ؟

وليعلم القراء أن «الكتاب الحديث» الذى جرى ذكره فى حضرة سعد واستتبع ذلك القول فى رواية الكذاب الحقود هو نفسُه عينُه الكتاب الذى أُهدى إلى سعد باشا لما كان بمسجد وصيف ، وكان قد أعلن عن موعد سفره الى القاهرة فاخر هذا الموعد أربعة أيام قرأ فيها الكتاب حرفا حرفاً ثم كتب لصاحبه يصف بيانه بالكلمة السائرة التى لم يقلها سعد في أحد ولم يظفر بها منه غير هذا المؤلف وحده وهى قوله : كأنه تنزيلٌ من التنزيل أوقَبسٌ من نُورِ الذِّكرِ الحكيم . (١)

هذه شهادة سعد باشا وقّع عليها بيمنه الكريمة فيكون في رواية العقاد معنى ثالث وهو أن سعداً أستغفرالله ـ يخشى مؤلفاً من المؤلفين ـ مع أنه لم يخش انجلترا ـ

---

(١) العصور ـــ هو كتاب إعجاز القرآن المشهور .

فيتملقه بهذا الوصف البالغ أعلى طبقات البيان الانسانى على الاطلاق حتى كأنه من لسان النبوّة .

رحم الله من قال : عدوّ عاقل خير من صديق جاهل . فالعقاد أراد أن يمدح نفسه بلسان سعد باشا فذم سعد باشا بل شبه بلسانه هو . ولقد اتفق أن اجتمع العقاد وصاحب ذلك الكتاب في إدارة مجلة شهيرة فقال المؤلف للجبار العظيم الذى يخشاه كل أديب : أنت كتبت في البلاغ الاسبوعى كيت وكيت . قال نعم . قال والكتاب هو كتاب كذا . قال نعم : قال وأنت كذبت على سعد فان الدكتور صروف كان حاضراً هذا المجلس ونَقَل إلىّ كل ما قاله سعد . فامتقع الجبار وخنس العقاد وبُهتَ الذى كفر (١) .

أوردنا هذا كله ليعلم القراء أن جبارنا العقاد ليس فى طبعه البلاغة ولا أسبابها باقراره هو نفسه فكيف يكون فى طبعه الشعر إلا على الأسلوب الذى يجعل اللص دائماً قادراً على الغنى متى أراد ...؟

انظر ألفاظ الشاعر الجبار وذوقه العجيب واذكر قول (فاكه) ان جمال الاسلوب هو الذى يخلد . قال في صفحة ١٢٧ من ديوانه

(بين محمد وعزوز) وفي الشرح أن محمد بن صديقه المازنى وعزوز ابن أخت صاحب الديوان :

مِرْحَاضُهُ أفخرُ أثوابنا!!! ونحن لا نقصر عن عذره

طرطوره ملقى على ظهره وحجره المرقوع فى خصره(٢)

---

(١) وبعد أن رجع الدم فى وجه هذا الجبان قال لصاحب الكتاب : هل أخبرك الدكتور صروف (كتابة) أم بالكلام ؟ وهذا سؤال طبيعى من مزور لا يخشى إلا الشهادة المكتوبة كما هو ظاهر .

وفى هذا المجلس ادعى المغرور العقاد أنه أذكى من سعد باشا وأبلغ من سعد باشا وأشهد صاحب الكتاب رئيس تحرير المجلة على ذلك . فالذى يبلغ به الحق أن يقول إنه أبلغ من سعد وأذكى من سعد لا يسب نفسه بأفصح من هذا

(٢) بين هذين البيتين اثنان آخران والابيات فى عزوز بن أخت العقاد فلا تنس هذا وخاله يقول فيه : عزوز هذا ولد فاجر :

إياك أن ترتاب أيها القارىء فهى مرحاضُهُ ، مرحاضُهُ ، وأفخر أثواب العقاد مرحاض ! ! !

والذين يرون أولاد العامة فى الازقة حين تجلس بهم أمهاتهم على الطريق وتريد احداهن أن تخ...ابنها ، يرونها ترفع حجره « المرقوع » فتجعله فى خصره ثم تجلسه على ساقيها وقد جعلت بينهما فرجة هى (مرحاض) الطفل فى الطريق العام كما يصف العقاد فى البيت الثانى تماما

هذه مسألة بسيكولوجية يؤخذ منها بعض تاريخ العقاد وتربيته وأصله وذوقه الشعرى أيضا ومن أين تربى له هذا الذوق الخ الخ وهى نص صريح فى أثبات الرجل من حثالة العامة و يقول الفيلسوف (فولتير) ذوقك استاذك

ونحن نظن أن رجلا مسلما متزوجا لو حلف بالطلاق أن لفظة (مرحاض) لا تخرج من فم شاعر في نظمه إلا اذا كان غبيا متشاعرا فاسد الذوق لئيم الطبع دنىء الحس — لَبَرّتْ يمينُه ولم يقع عليه الطلاق . وتكون هذه فتوى من الشرع فى وصف العقاد وشعره فحبذا لو رفع أحد الادباء سؤالا في ذلك الى العلماء والمفتين

ومن غفلة العقاد في هذه القصيدة قوله في ابن أخته أيضا

بينا يُرى ينتش ثوابه غيظا كمن أخرج عن طوره

اذا به يضحك مستبشرا متسقفا كالديك فى صفره

يريد من ينتش أثوابه أنه يجنبها وقد يصح هذا على تأويل . ولكنك ترى القاموس يعرف النتّاش (جمع ناتش) فيقول : والنتاشُ السُّفَل (جمع سفلة) والعيّارون (جمع عيار) وهم الناشطون فى المعاصى كالسرقة والفُجور(١) الخ الخ فسبحان من أجرى على لسان الخال وصف ميراثه فى الطبع . والعامة يقولون (الولد خاله) يريدون أنه مثله ينزع اليه في الصفات الموروثة

---

(١) مر فى الشرح ان العقاد يقول فى ابن اخته : عزوا هذا ولد فاجر .. ..

وفى هذه القصيدة يقول العقاد :

وأيُّما أحلى وكن عادلا فانت من يقضى على بكره
درّ الثنايا في عقيق اللثى أم فمه الفارغ من دره

اللثى جمع لثة فى لغة العقاد وحده يعنى في جهله وعاميته وانما تجمع على لثات لاغير وهى مغرز الاسنان، سميت كذلك لأن لحم الأسنان لِيثَ بها أى دار بها ولو جمعت على ﴿ لثى ﴾ بالقصر لكان المفرد لثاة أو لثوة أو لثية وهذا كله يصلح فى لغة العقاد وحدها لان جبار الذهن جاهل يتخبط بحجة انه جبار مثل « دون كويكشوت » ومن الفاظ الرجل الغريبة التى تدل على ذوق أسخف من ذوقه في لفظة (مرحاض) قوله فى صفحة ٢١٥ وقد سمى الحب (الجحيم الجديدة) (١) واخذ يصف هذه الجحيم التى يعذب فيها أهل الحب بمن يحبون فقال ملّح الله ذوقه!!!

وتولى فيها عذابَ المحبين بلاغُ المنى من الأحباب
ليس غِسْلينهم سوى الشهد ممنو عاً على قرب وِرْده فى الرُّضاب

فسر هذا السخيف فى الشرح فقال : الغِسْلين شراب أهل النار . والله يقول في وصف عذاب الجحيم « ولا طعامٌ الا من غِسْلين » فما هو بشراب كما ترى . وجَعْلُ الغسلين طعاماً فى وصف القرآن آية من آيات اعجازه لايفهمها مثل هذا العامى المتشاعر لان هذا الغسلين هو ما يسيل من . . هل النار قيحاً وصديدا فاذا كان هذا طعاما فليس من شراب هناك إلا شَوْباً (أى خاطاً) من حميم ، فالنار تهضمهم وهم يهضمونها لا هى تفنى أبدا ولا هم يهلكون أبدا

---

(١) قلب هذا اللص قول البحترى

وجنة حسن عذبتنا بحسنها وما حلت أنا بالجنان نعذب

وغريب أن يكون العذاب بالجنة ، ولكن اية غرابة او أى معنى شعرى فى أن يكون العذاب (بالجحيم الجديدة) أو القديمة أليست الجحيم للعذاب خاصة ؟

والآن تأمل أيها القارىء وقد عرفت أن الغسلين ما يسيل من جلود أهل النار قيحاً وصديدا ، تأمل ذوق المغفل الذى سمى رُضَاب الحبيبة غسلينا! ان كانت حبيبة العقاد ممن تصح معهن هذه التسمية فهى ولا ريب مصابة ... على الأقل بتقيُّح اللثة ! ! ! فليهنئه غسلينها ولكن لا يجوز له أن يقلب نفوس القراء ويحملهم على القىء من قراءة شعره البارد ، البارد جداً وان كان في وصف الجحيم

ثم نحن نقر ونعترف أننا لم نفهم معنى البيت الاول لأنه إذا أراد من (بلاغ المنى) بلوغها وانتهاءها وانه لا يُعذب المحبَّ شيء كبلوغ مناه من حبيبه فهذا لا يعذب بل يشفى العذاب وإن عذب كان عذابه أخف من عدم (بلاغ المنى) والظاهر أن الرجل جاهل بالحب أيضا وإنما يقلد أناتول فرانس في هذا المعنى وقد بسطه فى رواية الزنبقة الحمراء وجعله مقصورا على بعض النساء مبالغة منه فى وصف سُعَار الحيوانية وجنونها بالشهوة وكل ذلك تلفيق بعثت عليه طريقة فرانس فى الكتابة

هب العقاد أراد هذا المعنى فيبقى أنه يكذبه فى البيت الثانى بجعله شهد الرضاب « ممنوعا » ووصفه اللذات كلها « ممنوعة » فى الأبيات الاخرى فيقول بعد غسلين حبيبته ! ! ! قَبَّحَه الله وقَبَّحَها معاً

لا ولا جرم سوى الخلد مشبو ... باً يذيب الاحشاء قبل الإهاب
ويطوف الخسائر فيها بحمر ... من رحيق الخلود لا الأعناب(١)
فاذا أضرم الجوى قلب صب ... وتهاوى شوقا على الأكواب

---

(١) لاتنس أن طواف الحسان بخمرة رحيق الخلود إنما هو فى الجحيم ! ! !

قيل هذا للوصف ! لا للتعاطى ! ... (١) « تعاطى الدواء أظن !!!(٢) »

اذن فما معنى (بلاغ المنى) وانه هو الذى يتولى عذاب المحبين ؟

هذه معانى « البلاغ » فى اللغة ؛ امل فى القراء جبار ذهن غير مضحك يفسر لنا معنى البيت : بلغ بلوغا وبلاغا وصل وانتهى ، البلاغ ما يُتَبَلَّغ به ويتوصل ، البلاغ ما بلّغك ، البلاغ الكفاية ، البلاغ إبلاغ الرسالة ، بالغ بلاغة وبلاغا اذا اجتهد فى الامر ؛ « هذا بلاغ للناس ولينذروا به » اى أنزلناه (القرآن) لينذر به الناس ، البلاغ جريدة البلاغ اليومى والاسبوعى !!!

ولم نر فى كل ما وقفنا عليه من الشعر قديما وحديثا أبرد غزلا من نسيب هذا المتشاعر العقاد ، الذى لو كان فى الدولة العباسية أيام حسانها وأديبانها وقيانها للموصوفات وأمرائها الأدباء القادرين ، لكتبوا شعره الغزلى على جلد ثم صفعوه به فى المجالس

وهل يستحق أقل من الصفع من يقول فى صفحة ١٠٩

---

(١) هذا كله ثرثرة من العقاد فى سرقته من قول ابن الرومى :

ومن البلية منظر ذو فتنة نائى المنافع شاعف الاملاق
مزن يعطن الرى عن أقواتها ويحسدن الابصار بالابراق
يهززن أغصانا تباعد بالجنى وتروق بالاثمار والاوراق

يريد وصف النساء جاذبات ممنوعات كالامثلة التى شبه بها فأخذ العقاد المعنى وصاغه كصيغة خبز فى جريدة!!! وهو يكثر من ترديد هذا المعنى فى شعره فلا يزيده الا مسخا

(٢) والوصف للتعاطى ... عامية مبتذلة مسروقة من التنيسى المعروف بابن وكيع فى وصف الربيع اذ يقول :

أبدى لنا فصل الربيع منظراً يشله تفتن ألباب البشر
وشياً ولكن حاكه صانعه لالابتذال اللبس لكن للنظر

ولا شك أن العقاد وأراد أن يقول « للنظر لا للتعاطى » فلم يساعده الوزن فقال « للوصف » ولا معنى لها

« الحبيب الثالث »

نظمت هذه الأبيات ردا على قصيدة الحبيبين لصديقنا شكرى . وقد شبه احدهما بالجنة والثانى بالجحيم وهذا الحبيب الثالث جامع الجنة والجحيم ! !

قِلاكَ من دفّاع نار الجحيم ووصلك الجنة دار النعيم
وريقك الكوثر لكنه كالمُهْل!! فى صدر المحب الكظيم
وخدك الزقّوم !!! مرٌّ!!! لمن تزويه عنه وهو حلو الشميم

المُهْل دِرْدِيُّ (أى وساخة) الزيت . وفي القرآن الكريم « كالمُهْل يغلى فى البطون » والزقوم عبارة عن أطعمة كريهة فى النار ومنه استعاروا قولهم تزقّم فلان اذا ابتلع شيئا كريها .

هل يعرف القراء فى البُلْه أوالحمقى او المغفلين من يجعل خد الحبيب طعاما ؛ ثم طعاما كريها ومرا ؟ ولكن العقاد جعله كذلك ثم يزيد على هذا السياق قوله « وهو حلو الشميم » أى والحال انه حلو فى الشم فمن هنا لا يكون المعنى ابدا الا هكذا : ان خدك طعام من الاطعمة الكريهه لمن تزويه عنه على حين انه طعام حلو الشم طيب الرائحة ؛ فهو على كل حال طعام . لا يمكن أن يؤدى سياق الكلام غير هذا

لعمرى لو كان هذا الغزل فى امرأة حقيقيه لدبغت قفا هذا الاحمق . ولكنه فى امرأة يخلقها وهم العقاد من طباع العقاد نفسه لتصلح لشعره

ثم يالطيف يالطيف ! اى بليغ على وجه الارض يستطيع ان ينطق (قِلاكَ من دفّاع نار الجحيم) انطقوها أيها القراء لتعرفوا أن فم العقاد يصلح أن يستخدم في (طره) لقلع الحجارة وتكسير الزلط ! ! !

« مفتاح نفسه » وقفل نفسه(١)

يسرنا أن يكون الادباء والكتاب قد أخذ كل منهم يحاذر جهده أن يكون هو المغفل الذى يشهد لتعقاد بانه اديب أو شاعر أو كاتب بعد أن مزقنا الاعلانات الكبيرة الملونة التى كانت ملصقة على هذا الحائط !!! وبعد أن أرينا هم الحائط نفسه طيناً وحجراً ، لا أصباغا ولا ألوانا وما هو الا الحائط وما هو الا العقاد

ما من أديب الآن يجسر أن يظن فى هذا العقاد — اذا أبعد فى حسن الظن — الا أنه كاتب جرائد يحسن صناعته ويستجمع آلاتها من الاطلاع المتنوع والترجمة ثم . . . ثم الصفاقة والمكابرة والكذب السياسى ، ثم الدجل العالى الصحافى الشرق ! ! ! ! وانتهى

أما العقاد الذى كان تحت الاعلانات !!! فهيهات هيهات وقد كان أول نحسه طرده من جريدة البلاغ لان هذه الجريدة الكبيرة كانت بمنزلتها تصنع شيئه ، وتخفى عيبه ، وتجعله (نابه)

ومن العجيب ان رجالا من حكومة مصر كانوا من المخدوعين به أو فيه أو منه فأرادوا أخذه الى العراق مدرسا للآداب العربية وكادوا يجنونها على الأدب اغتراراً بتزويق الحائط ولكنهم تنبهوا أخيراً لرأى العقاد على السفود وتركوه لما به ولولا ذلك لما عرفوه إلا ... إلا ﴿ بعد خراب البصرة ﴾ ....

ما هو هذا العنصر الكيميائى العجيب الذى يحول كاتب جرائد فى لحنه وعاميته وفساد ذوقه وسقم فهمه وضعف ملكاته فى ناحيتيه فى النظم والنثر

---

(١) عدد شهر اكتوبر سنة ١٩٢٩ من المصور

الى مدرس للآداب العربية العالية في حكومة العراق ؟ أما إنه إن لم يكن عند هذه الحكومة حجر الفلاسفة لتجعل مثل العقاد مدرساً للآداب العربية بقوة الرجم الكيميائى — إن لم يكن عندها حجر السحر هذا فقد والله كادت تخرب البناء الذى تريد أن تقيمه بغلطتها في حجر الزاوية

(مفتاح نفسه) كلمة وضعها العقاد عنواناً لمقال نشره فى المصور الصادر لذكرى المغفور له سعد باشا لان العقاد لا يزال ينفق من نقود أكاذيبه على سعد فهى تسد ناحية من إفلاسه الى زمن طويل على ما نظن . جعل عنوان المقالة هكذا : الزعيم الفقيد مفتاح نفسه (١) . فأولا ما معنى (الفقيد) وقد مضت سنتان كاملتان على موت سعد رحمه الله؟ وثانيا ما معنى (مفتاح نفسه) على قواعد التركيب العربى ؟

لا وجه للأولى الا الركاكة والحشو وطريقة الجرائد . ولا معنى للثانية الا اللصوصية المتمكنة من نفس العقاد والغالبة على طبعه ، فيعجز حتى عن كتابة عنوان فيلجأ الى سرقة هذه الاستعارة الانجليزية ونصها عندهم The key of his soul يريدون أنك تفتتح أغلاق الرجل من جهات نبوغه بدرسه من جهات اعماله وأخلاقه فكان صواب الترجمة — ان كان لا بد من السرقة حتى فى عنوان!!!! — الزعيم بنفسه مفتاح نفسه ، أو هو نفسه مفتاح نفسه . لا بد أن يتقدم العبارة الانجليزية توكيد أو بيان لتستقيم عربية المعنى . فقل الآن في كاتب يسرق حتى العنوان ويعجز فيه أيضاً

قلنا مراراً إن هذا المغرور المتشاعر سقيم الفهم فى العربية وهذه هى علة تعلقه بكلمة الجديد وزعمه انه مجدد كما هى علة أمثاله من الأدباء الملفقين في عربيتهم وأوربيتهم على السواء . وهى أيضاً السبب فى تجنب العقاد أن يفسر شيئا من الأدب العربى كما هى السبب فى انحطاط شعره وكتابته . وقد رأينا له فى مجلة

---

(١) عدد ٢٣ اغسطس سنة ١٩٢٩ من المصور

الجديد (١) كلمة من تخليطاته عن ابن الرومى « كاد يفسر » ... فيها أبياتا لهذا الشاعر فخبط خبط العمياء لا العشواء قال ستره الله باسكاته :

هل ترى هذا الغائص الذى تعلم السباحة ليغوص لا ليسبح ! ؟ أو ترى هذا الخائف المراقب الذى يمر بالماء فى الكوز مر المجانب ؟ هو ابن الرومى حيث يقول عن نفسه : (أى فى البحر)

وكيف ولو ألفيت فيه وصخرة ... لوافيت منه القعر أول راسب

ولم اتعلم قط من ذى سباحة ... سوى الغوص والمضعوف غير مغالب

فأيسر إشفاق من الماء انني ... أمر به في الكوز مر المجانب

انظرايها القارىء . ابن الرومى يقول : لم اتعلم قط من ذى سباحة سوى الغوص فيكون معنى هذا أنه « تعلم السباحة » (وتعلمها) « ليغوص لا ليسبح » ؟ ان المعنى الذى يقصد اليه الشاعر هو هذا . أرى ذا السباحة يسبح و يغوص ولما كان الغوص أيسر العملين لانه لا يحتاج لتعلم الخبط فى الماء وشقه والنجاة منه فانا قد تعلمت هذا وحده دون السباحة فلا ألقى مع صخرة فى الماء حتى اسبقها الى قعر البحر .

هذا هو المعنى الشعرى، فاما ان كان « تعلم السباحة » ولكنه لم يتقنها فكأنما « تعلمها ليغوص لا ليسبح » فقد فسد بهذا الكلام الحس الشعرى الدقيق البديع ، وأصبح المعنى فى سخافته وركاكته يشبه شعر العقاد لا شعر ابن الرومى...

وقال ستر الله عليه . وهل ترى ذلك المنهوم الذى يسره أن يُدعَى الى الطعام حتى فى الأحلام ويأسف على أن ينادى عنه وهو فى المنام ؟ هو ابن الرومى بعينه وهو القائل :

ولقد منعت من المرافق كلها ... حتى منعت مرافقَ الأحلام

من ذاك انى ما أرانى طاعما ... فى النوم أو متعرضا لطعام

الا رأيت من الشقاء كأننى ... أثنى وأكبح دونه بلجام

تأمل (قوى قوى) فى تفسير المغفل ثم فى شعر ابن الرومى وقل لى هل يصف ابن الرومى « شراهته ونهمه وأسفه » أم هو يبالغ بهذا الاسلوب البديع فى صفة فقره وأنه

---

(١) عدد ٢٩ يوليه سنة ١٩٢٩

لهذا الفقر محروم حتى مما هو غنى طبيعي للفقراء لان الفقير متى تعلقت نفسه بشهوة لايجد السبيل اليها جاءته هذه الشهوة في احلامه من عمل نفسه وكان لابد أن تمكنه وأن ينالها وذلك قانون طبيعي كما قرره العلم أخيراً في أسباب الأحلام وتأويلها بالشهوات الممتنعة أو المنقمعة . ويعبرون عنها (بالمكبوتة) وهو خطأ وتسمح

فابن الرومي يصف شقاء جده وصفا دقيقا لايحس به غبي مثل العقاد وفضلا عن أن سياق الشعر لايؤتى للمعنى الذي فهمه هذا الغبي فان المعنى بعد لن يتأتى الا اذا ثبت أن ابن الرومي كان طفيليا بكل الاوصاف المأثورة عن هذه الطائفة وهذا لم يقل به أحد الا طفيلي الادب العقاد . ومن العجيب أن لهذه الابيات بقية تكاد تنطق بان ابن الرومي لايريد شراهة ولاطعاما ولكنه يقرر ابتلاءه بعثار الجد وأن ماينالهالناس« من وصال الطيف... » بأهون سبيل وأيسر حركة لامطفة يحرمه هو ويبتلى فيه مع ذلك « بالغرم والاغرام »،والعقاد مع هذا لايفهم غرض الشاعر . ألايرى القراء أن هذه وحدها كافية في الدلالة على بلادته وسقم فهمه كأن مادة مخه في وعاء جمجمته قد كتب عليها صيدلي القدرة ...لايفهم الا من الظاهر ..

وقال غطاه الله .. أماسخره من غيره فله في أفانينه الكثيرة ومعانيه الغريبة مايقوم بديوان كامل . وبراعته فيه طبقة لاتعلوها طبقة في نوعها وينذر أن يدانيها فحول الساخرين في المشرق والمغرب فله في أحدب كان يضايقه ويترصده (كذا) أمام داره ليتطير منه :

قصرت أخادعه وطال قذاله فكأنه متربص أن يُصفعا

وكأنما صفعت قفاه مرة وأحس ثانية لها فتجمعا

تعالوا أيها القراء وهاتوا معكم(رجلا من العراق ..) لنضحك من هذا العامي المتشاعر الذي جعل ابن الرومي عاميا مثله يجنح الى لغة ضعيفة في تأنيث (القفا) ويعدل عن الاعم الشائع . ولوكان هذا الشعر على هذه الرواية لكان ضعيفا إذ قوله « صفعت قفاه مرة » يوهم أن هذه (المرة) كانت في زمن من قبل فيفسد الوصف

و يصعف التر كيب و يجب حينئذ أن تكون العبارة . وكأنما صفعت قفاه صفعة وأحس ثانية لها الخ

وقوله « فكانه متربص أن يصفعا » من العامية التى لاينقلها الاعامى مثل العقاد لان التربص باعقاد الجرائد . . لايكون الافى الانتظار الطويل الذى لابد فيه من مكث وتلبث وبهذه الكلمة يفسد الوصف و يرجع هراء ؛ فان من ينتظر أن يصفع غدا أو بعد ساعة لاتكون تلك حاله ولا يتجمع

ثم « وطال قذاله » ثالثة الاثافى . فان القذال جماع مؤخر الرأس مما تحت قُصاص الشعر أى القفا . فهل الاحدب طويل القفا ؟ وهل اذا قصرت الاخادع وهى كناية عن قصر الرقبة يطول القفا ؟ أم ذاك الاحدب قد استعار قفا العقاد.. فانخسفت رقبته ومع ذلك طال قذاله معجزة لجبار الذهن (١) .... ماهذه البلادة فى هذا الرجل ؟ خلصينا ياحكومة العراق من عاره على الادب المصرى وخذيه ولو مدرسا للتلاميذ الشهادة الابتدائية التى لايحمل غيرها وغير شهادة الجميع له بالفصوصية الادبية العليا !!!! ثم البيتان بعد هذا كله ليسا لابن الرومى بل هما مرويان للامير مجير الدين بن تميم وتحرير الرواية هكذا .

---

(١) يصف الشاعر هذا الاحدب فى صورته الجسمية برجل صفع على قفا صفعة وأحس يد صافعه ترتفع لتهوى بالصفعة الثانية على قفاه فتجمع أى رفع كتفيه حتى التصقا برأسه ليخفى قذاله فتقع الصفعة على الظهر دون القفا فاذا تجمع ليخفى قذاله فكيف يقال فى هذه الحالة (طال قذاله)؟ ولكن العقاد رجل بليد فى الاداب العربية وايراده البيتين على هذا الشكل دليل قاطع فى أنه ضعيف الفهم والتمييز وانه لايصلح لشىء فى الادب العربى لانه لاهو مطلع ولاهو يفهم ولايحقق وليس هو اكثر من لص عمله النقل بسرعة وهمة على اوتومبيل أو على عربة كارو أوعلى حمار او على ظهره هو .... فان أمن واطمأن على مايسرق كان من أرباب الاهلاك !!!

قصرت اخادعهُ (وغاب) قذاله فكأنه (مترقب) أن يصفعا
(وكأنه) (قدذاق أول صفعة) وأحسّ ثانيةً لها فتجمعا

هذه هى صفة الاحدب مصوّرا تصويرا ، وهكذا يكون الشعر لاذلك التخليط العامى الثقيل المتناقض الذى لانعجب ان لا يتنبه له (أديب فالصو) مثل عقاد الجرائد هذا .

أرأيت ياعقاد أنك لست هناك وأنك تدعى الأدب العربى سَفاهاً وأنك في تميزك غبى غبى غبى لاتساوى شيئاً إلاعند غبى غبى مثلك

***

والآن نقول إننا تلقينا كتابا يتحدانا صاحبه ! ! ! أن ننقد قصيدة للعقاد سماها (الخمرة الالهية) . ويستدل صاحب الكتاب على فضل العقاد بما لاشأن لنا به هنا . ولو شهد له رجلٌ وإمرأتان ...

نحن بعون الله لانضرب دائماً إلا ضربات قاضية ولا نعرف هذا النقد المخنّث الذى نراه فى الجرائد مما ليس فيه إلا الثرثرة ولاتقدير له إلا بقولهم أربعة أعمدة أوخمسة أعمده .... ومن ذلك سررنا بهذا الكتاب الذى تلقيناه وسنأتى بقصيدة العقاد هذه بيتاً بيتاً ليرى بعينى رأسه وبكل أعين الناس أنه (فالصو) من أوله الى آخره وأنه لايزيد عندنا عن حبة من القمح رأت حجر الطاحون ساكناً هادئاً متواضعاً فجاءت تُظهر سَفَهَها وطيشها وتتهمه بالبرودة والجمود وتقول له أنها من قمح استراليا ! ! ! ثم ... ثم دار الحجر

فى صفحة ٧٤ من يقظة الصباح!! « الخمر الالهية . على طريقة ابن الفارض »

ماهى طريقة ابن الفارض وهل يعرفها العقاد على حقيقتها أم هو يقلد فى هذا كما هو شأنه دائما ؟ الخمر فى لغة السادة الصوفية « شراب المحبة الالهية الناشئة

عن شهود آثار الاسماء الجمالية للحضرة العلية فانها توجب السكر والغيبة بالكلية عن جميع الاعيان الكونية »

افكذلك عاين العقاد وشرب وانجذب ! أم نظم قصيدته الملفقة في خمرة بار من البارات التي يتسكع فيها ، ويخرج منها بمخازيها ؟ سترى وتعرف

ثم إن ابن الفارض ليس له في الخمر غير قصيدة واحدة هي الميمية المشهورة وأبيات استهلّ بها تائيته الكبرى. وماعداهما فلم يذكر الخمر إلا في ثلاثة أو اربعة أبيات كل بيت في قصيدة. وهذه نفحةٌ من الميمية يتطهر بها القارىء قبل أن يخوض في رجس العقاد، ويتنشّق منها أنفاسَ السماء قبل أن يأخذه غبارُ الارض

قال سلطان العاشقين قدس الله سره

شربنا على ذكر الحبيب مدامةً ... سَكِرنا بها من قبل أن يُخلَق الكَرْمُ
ومن بين أحشاءِ الدنانِ تصاعدت ... ولم يبق منها في الحقيقة إلا اسم
وان خطرتْ يوماً على خاطر امرىء ... أقامتْ به الافراحُ وارتحل الهم
ولو نظر الندمان ختمَ إنائها ... لاسكرهم من دونها ذلك الختمُ
ولو نضحوا منها ثرَى قبرِ ميتٍ ... لعادت اليه الروحُ وانتعش الجسمُ
ولو طرحوا في فَيْءِ حائط كَرْمِها ... عليلًا وقد أشفى لفارقه السقمُ
ولو خُضِبتْ من كأسها كفُّ لامسٍ ... لما ضلَّ في ليلٍ وفي يده النجمُ
يقولون لي صفها فانتَ بوصفها ... خبيرٌ ، أجلْ عندي بأوصافها علمُ
صفاءٌ ولا ماءٌ ، ولطفٌ ولا هوا ... ونورٌ ولا نار ، وروحٌ ولا جسمُ

ويجب أن يرجع القارىء الى شرح الشيخ النابلسي لديوان ابن الفارض ليرى كيف يفسرون معاني الخمر وأوصافها « بما أدار الله تعالى على البابهم من المعرفة أومن الشوق والمحبة » وهو أمر بينه وبين العقاد مابين الانسان والقرد

وقال المفتون صاحبُ الذوق المريض« صاحب مرحاضُهُ » ! ! (١)

(عقود الدوالى أنت والخمر أشباه فلله ما أسنى حلاك وأحلاه)

ان أراد أن تأثير العناقيد يشبه تأثير الخمر على التوهم فهومن قول ابن الفارض ولو طرحوا فى فيء حائط كرمها » الخ وقد ورد في هذا المعنى شعر كثير. وأن أراد أن العناقيد هى والخمر أشباه فى الشكل أو المعنى فليس كذلك. والحقيقة أنه سرق هذا المعنى من كتاب (حديث القمر) ولم يحسن سبكه وهو هناك يذكر الاسم : «يتخيلها (أى الآمال) ابتساماتٍ من السعادة كما يرى المُدمِنُ في عناقيد الكَرْم

---

(١) أشارة الى قول العقاد « مرحاضه أفخر أثوابنا » وقد مر فى السفود الثالث وكان العرب يلقبون بعض شعرائهم بكلمات قالوها فى أشعارهم .

قال ابن رشيق : وطائفة أخرى نطقوا فى الشعر بالفاظ صارت لهم شهرة يلبسونها وألقابا يدعون بها فلا ينكرونها . منهم عائذ الكلب واسمه عبد الله بن مصعب لقب بذلك لقوله .

مالى مرضت فلم يعدنى عائذ منكم ويمرض كلبكم فأعود

والممزق واسمه شاس بن نهار لقب بقوله لعمرو بن هند :

فان كنت ما كولاً فكن أنت آكلي وإلا فأدركني ولما أمـــزق

ولقب مسكين الدارمى واسمه ربيعة بقوله

أنا مسكين لمن أبصرنى ولمن حاورنى جد نطق

ومنهم من سمى بلفظة من شعره لشناعتها!!! مثل النابغة الذبيانى واسمه زياد بن عمرو وسمى نابغة لقوله :

فقد نبغت لنا منهم شئون

وجران العود سمى بذلك لقوله :

عمدت لعود فاتحيت جرانه

قلنا : ومن هذا القبيل صاحب مرحاضه ! ! ! واسمه عباس محمود العقاد وسمى صاحب مرحاضه بقوله

مرحاضه أفخر أثوابنا ! ! !

سحابة من الخمر » ، فانظر اين هذا الرصفُ من ذاك وأين الدقة من الغموض « وإن الذبابَ ليقعُ على الزهر كما يقع النحل ليجنيَ العسل ، وإنه ليطنُّ في الروض كما تُغرِّد الطيورُ لترقيص قلوبها الصغيرة . ثم يطيرُ عن الزهرة ذبابا كما وقع ؛ ويسكتُ ذبابا كما طنَّ ، وكيفما نظرتَ اليه لا تراه إلا ذبابا . ولكنه من الطير ولكنهم من الشعراء . . . . » (١)

وهذا هو وصف العقاد في كل عبقرياته فهو على زهر المعاني شاعر ذبابي !!!

وقد طبع حديث القمر في سنة سنة ١٩١٢ قبل (يقظة الصباح) باربع سنوات

وقول العقاد (ما أسنى حلاك وأحلاه) خطأ لان الحلى جمع حلية فيجب أن يعود عليها الضمير مؤنثا فيقول وأحلاها . وانظر أين معنى الحلاوة من معنى سنا الحلية إلا أن يكون هذا من قول نساء العامة لكل جميل (ياحلاوة)

(لآلىء قد نيطت بأسماط عسجد فصدر الدوالى مشرق النحر تياه)

انظر كيف يصنع الشاعر الحقيق فى مثل هذا ، قال ابن الرومى فى وصف العنب .

لو أنه يبقى على الدهور قَرَّطَ آذانَ الحسانِ الحُور

وقال فى البلح :

فشققت الاكف فخلت فيها لآلىء فى السلوك منظمات

فهو لا يجعلها لآلىء حتى يوطىء لها توطئة وقوله « صدر الدوالى مشرق النحر » كلام غير مستقيم لان العناقيد على صدر الدالية . فمن أين لصدرها نحر ؟ (٢)

---

(١) هذه الجملة من حديث القمر فى وصف بعض شعرائنا

(٢) الثابت عندنا ان العقاد بليد سقيم الفهم وخاصة فى فهم الشعر العربى وهذا يدل على انه غير ناضج لا يانا ولا شاعرية ونظن انه سرق ما جعله للكرم نحرا من قول ابن الرومى

بنت كرم تديرها ذات كرم (موقد النحر) مشعر الاعناب

حصرم من زبرجد يين ينع من يواقيت جمرها غير خابى

(كأن حبوب الكرم بين سلوكها كؤوس من البلور قد صاغها الله)

سرقه من ابن الرومى في وصف العنب الرازق (الأبيض الطويل)

ورازقٌ مخطفِ الخُصور كأنه مخازنُ البلور

يريد ابن الرومى الشبه فى خزن الضوء وهو معنى جميل دقيق فجعلها العقاد (كؤوساً) وتر بقوله صاغها الله . ثم الحبوب لا تكون (بين) سلوك العناقيد بل السلوك هى التى تكون بين الحبوب لأنها تحملها وتغذوها فهى ليست من معامل الزجاج . . .

(كأنى أرى بالعين ضمن قشوره سلافة جام سوف تجنى حمّياه)

هذا تكرار للبيت الأول ثم قوله (أرى بالعين) كلام سخيف فماذا يرى؟ وضمن قشوره كلمة عامية حقيقة بأن تكون لغة كناس من كناسى الطرق . « وسوف تجنى حمياه » الطامة الكبرى ، فكيف « يرى بالعين سلافة » ثم يقول سوف تجنى وسوف للأجل البعيد . وهل يقال جنيت الخمر ؟ وحمياه حشو لا موضع له البتة فكأنه قال أرى بالعين سلافة كأس سوف تجنى سلافة هذه الكأس . وانظر أى خلط هذا ؟

(ويسعى اليها الشاربون بمجلس يحف به عشب أثيث وأمواه)

اليها يعنى إلى الخمر التى يراها بالعين سوف تجنى ... فالرجل اذن فى منام ، وليس يرى بالعين لانه مع أن هذه الخمر « سوف تجنى » فقد رأى الشاربين يسعون اليها . . .

وصفة المجلس فى شعر هذا الدعى الثقيل من أبرد ما جاء به شاعر عامى

وظن نسوه فهمه ان الشاعر يصف الكرم (شجر العنب) والحقيقة ان ابن الرومى يريد بقوله (ذات كرم) الخ ان الخمر تديرها امرأة غنجة كثيرة الحلى كأنها فى حلاها المختلفة شجرة كرم بعناقيدها فالحصرم فيها زبرجد لاخضرار كل منهما والناضج ياقيت لاحمرار كل . وفى ديوان ابن الرومى (بين نبع) وهو تحريف

ساقط . هل يهتم « بالعشب الاثيث والا مواه » ، إلا حمار يحلم بالبرسيم ونحوه، أو من فيه روح حمار ؟ وقال صاحب مرحاضه

(كليلتنا والدهر وسنان غافل وقد ايقظ العود الصفاء فناه)

اذا كان الدهر وسنان فهو غافل حتما ولا يبقى لهذه اللفظة معنى . وسنان وأيقظ . هذا هو بديع العقاد كأسخف ما يجيء به مبتدىء . « وأيقظ العود الصفاء » هذه كلة من الشعر الذى كان قبل سبعين سنة حين كان ألفاظ الشعر واستعاراته مثل أيقظ الصفاء ودعا الهناء وابى الأنس الخ ؛ ومادمنا في البديع فهل أيقظ يناسبها لبى ؟ أم هذه تناسب دعا ؟ هذه صناعة العقاد ليس فيها إلا كلام عامى منظوم ؛ ومع ذلك لا يخجل أن يجعلها (الخمر الالهية) وتبلغ به الوقاحة أن يقول أنها على طريقة ابن الفارض .

أما وقد رأيت طرب مجلس العقاد وأنه كله فى أيقظ العود الصفاء فانظر كيف يصنع الشاعر فى الابتكار لمعنى الطرب في مثل هذا المجلس وأقرأ قول مسلم بن الوليد

سلكنا سبيلًا للصبى أجنبيةً ضمنّا لها أن نعصيَ اللومَ والزجرا
بركْبٍ خفاف من زجاج كأنها ثدِىٌّ عذارَى لم تخف من يدٍ كسرا
علينا من التوقير والحِلم عارضٌ اذا نحن شئنا أمطر العرف والزمرا

ومسلم نهج له أبو نواس هذا المعنى فى قوله

لا أرحلُ الراح إلا أن يكون لها حادٍ بمُنْتَخَلِ الاشعار غِرِّيدُ

فجاء ابن الوليد بالرحل والركب والطريق وصمائها على أبدع ما تبتكر القريحة وهكذا يكون الشاعر في توليده وابتكاره إن كان شاعراً . فأما إن كان عامياً ملفقاً لصاً كالعقاد فهو يصنع كما رأيت العقاد يصنع سلخاً ومسخاً كأنه (عطا شجى وابور) يقدم خرقته القذرة لامرأة حسناء قد غازلها كي تمسح بها عن وجهها الجميل عرق الخجل من وقاحته وسوء أدبه . . .

لاينبغى أن يجىء الشاعر بمعنى متداول أو مبتذل إلا إذا وضع له تعليلا أو زاد فيه زيادة او جعل له سياقا ومَعْرِضًا أو نحو ذلك ليكون هو هو فى معنى غيره ، فكأنه معناه هو . وأى شىء في « أيقظ العود الصناء فنباه » غير استعارة النوم للصفاء والايقاظ للعود كأن العود خادم فى (لوكاندة نوم) !!!. انظر ياعقاد الجرائد كيف صنع جميل حين أراد أن يأتى بشىء جديد من معانى الشعر في طرب العود ونحوه وتأثير هذه الآلات فى مجلس الراح وهو يذكر نديمه عليها بعد أن طرب وشرب قال

فلما مات من طربٍ وسكر ... رددتُ حياتَه بالمُسْمِعاتِ
فقام يجرُّ عِطْفيه خُمارا ... وكان قريبَ عهدٍ بالممات

جعل العود (ينطق بأحسن من وقع القطر في البلد القفر) وجعل فيه حياة من الموت الذى في الخمرة فكأن فى مجلسه مايحيى ويميت . هكذا فاصنع أيها ... الذى لايتلهف فى مجلس الطرب الاعلى « عُشْبِ أثيتٍ وأمواه » !!! دون أنواع الريحان وأفانين الزهر وأصناف الطيب ومجالى الروض ومعارضه المختلفة الخ الخ

(يدور بها الساقى علينا كأنها ... مباسم ثغر والحباب ثنايا)

ان أراد بالمباسم جمع مبسم مصدرا أى الابتسام فلا معنى للتشبيه لان الخمر ذات الحباب لاتكون بيضاء . فان أراد جمع مَبْسِم أى مكان الابتسام يريد به الشفتين الحمراوين فكم مبسما للثغر يارى : ؟ لعلها مباسم زنجية من أسوان لها شفتان غليظتان كشفرى البعير ، ويكون تقدير العقاد ان هاتين الشفتين لو قسمتا شفاها رقيقة لكانتا عشرين أو ثلاثين ، ومن ثم يكون لهذا الثغر الواحد (مباسم) على هذا التأويل!!! وهذا البيت سرقه العقاد (كذا سمحه المطبعة العقاد ! !) من شوقى فى قصيدته المشهورة (حفَّ كأسَها الحَبَبُ) من قوله

أو فم الحبيب جلا عن جُمانه الشَّنَب

ومع ان طبعى أنا لا يُسيغ مثل هذه التشبيهات ويراها كلها فساداً فى الذوق فانى أرى فى بيت شوقى دقة غفل عنها العقاد لانه جاهل بالعربية ليست له قريحة بيانية البتة . فما فى كتابته ولا فى شعره إلا الخَبْط لَبْط ... شوقى يقيد الفم بانه « فم الحبيب » ، والعقاد أراد مطلق ثغر يعنى ولو ثغر شَوْهاء فَوْهاء !!! ثم شوقى يذكر فم الحبيب والثنايا والريق وهذا كله حلو حلو جميل ويضيف الى ذلك كله كلمة (جلا) وهى وحدها شعر في ذكرها مع ثنايا الحبيب. والفناد (كذا صحته المطبعة !!) غُفْل مُغْفَل ليس فى شعره إلا ثغر نكرة — بدليل التنوين — وثناياه كيفما كانت ولو كانت مصابة بالقَلَح وو.. قبحه الله من شاعر سخيف، كادت والله نفسى تثب الى حلقى ... وما منعنى القيء من شعر هذا العقاد إلا انى تذكرت الآن هذين البيتين في ثغر الحبيب ودُرّه وعقيقه ولا أدرى لمن هما ، ولكنهما من شعر المتأخرين الجامدين فى رأى المجددين المغفلين

يادُرَّ ثَغرِ الحبيبِ مَنْ نَظَمَكْ ومن بخَمِ العقيقِ قد ختَمَكْ
أصبح من قد رآكَ مبتسِماً يميلُ سكراً فكيف من اَشَمَكْ ؟ (١)

اه فكيف مَنْ ... تحتاج ياعقاد أن تخلق مرة أخرى لتقول مثل هذا .

ونعود الى تشبيه الحباب بثنايا (الحبيب) ، الحبيب خاصة ـ فأصله أنهم شبهوا الحباب باللؤلؤ وهذا جيد مستقيم على طريقة الوصف ومنه قول النواسي « حصباء دُرّ على أرض من الذهب » وكثير غيره

ثم لما كانت أسنان الحبيب تشبه باللؤلؤ جعلوها كالأصل ونقلوا التشبيه اليها توليدا واتساعا فى فنون البيان ومن ذلك قول البحترى يصف الخمر :

---

(١) هذا المعنى مأخوذ من قول ابن الرومى

مابال ثغرك مشربا بى سكره ولمن سواى فدتك نفسى راحه

ولكنه أحسن وأتم وأرق من الأصل كما ترى

وفى القهوة أشكالٌ من الساق وألوان
حباب مثل مايضحك عنه وهو جذلان
وسكر مثل ما أسكر طرفٌ منه وسنان

ثم تنبهوا من ذلك الى مراعاة النظير والمقابلة فجمعوا في التشبيه كقول ابن وكيع :

حملتْ كفُّه الى شفتيه كأسَه والظلامُ مرخى الازار
فبدتى لؤلؤ الحباب وثغرٌ وعقيقان من فم وعُقار

وابدع ابن النبيه وجاء بالمعنى سائغاً عذبا فى قوله :

فانهض الى ذَوْبِ ياقوتٍ لها حَبَبٌ تنوب عن ثغر من تهوى جواهرُه

ومن هنا أخذ شوقى فجمع فى التشبيه كما رأيت ؛ وعلى شوقى تطفل العقاد، والتفنن فى وصف الحبب كثير ولكنا أردنا بما ذكرناه تاريخ المعنى الذى (هيه) هذا العقاد .. ..وقال صاحب مرحاضهُ

(جرت في صفاء الدمع وهى دواءه فمن ذاقها لم تجر بالدمع عيناه)

سرقه من قول ابن المعتز مع غفلة من أقبح غفلات العقاد . يقول ابن المعتز ورواه الثعالبى لأبى نواس :

وليس للهمِّ الاشربُ صافيةٍ كأنها دمعةٌ من عين مهجور

فقيد الدمع بأنه من « عين مهجور » « وصاحب مرحاضهُ » أطلق فجعلها ككل دمع وان كان دمع مصاب بالرمد الصديدى....قبح الله هذا الاحمق لايزال شعره كالملح الانجليزى أو زيت الخروع .ثم انظر واعجب من غباوة العقاد فقد فهم من بيت ابن المعتز أنه يشبه الخمر فى صفائها بالدمع فسرق على هذا الفهم وذلك تشبيه صبيان لاتشبيه مثل ابن المعتز وانما أراد هذا أنها صافية حمراء كدمعة المهجور حين يبكى دماً لاحين يبكى دمعاً . أفهمت ياعقاد . ألاتقر أنك فى حاجة الى أن تكون تلميذا لأديب ، ثم بعد ذلك عسى أن تكون أديباً في يوم ما.. ؟

وتأمل مايشعرك قولُ ابن المعتز (كأنها دمعة من عين مهجور) وما يثير فى

نفسك من رقة العاطفة وتحزنها واهتياجها الخ وهذا كله خلامنه بيت العقاد فجاء قشر الالب فيه ؛ و زعمه أنها دواء الدمع مضحك لان ابن المعتز جعلها دواء الهم وليس كل هم يجيء بالدمع إلا إن كان هم امرأة تبكي لكل شيء وليس كذلك الرجل . وما دامت الخمر «دواء الدمع» فينبغي أن يكون من أسمائها عند المجددين (ششم وقطرة) ! ! ! ! ومحلول بوريك وسليمانى . ألا لعن الله هذا التجديد وأهله ان كانوا من هذا الطراز . انظر كيف يكون الشعر فى وصف الخمر على أنها دواء الدمع في قول السلامى ذلك الشاعر الذى قال فيه عضد الدولة : اذا رأيت السلامى فى مجلسى ظننت أن عطارد نزل من الفلك الى ووقف بين يدى

بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا كأننا فى حجور الروض أيتامُ

هكذا والا فاسكت و يحك

(تنير فلولا أن يسيل رحيقُها لقلت لظى أذكى النسيم شظاياه)

يريد فلولا ان سال رحيقها فاستعمال (يسيل) بصيغة المضارع خطأ لانه لا يفهم منه بهذا التركيب الا أنه لايقول إنها لظى خشية أن يسيل رحيقها من كلامه البارد... والمعنى مسروق من قول مسلم بن الوليد

وكأنها والماء يطلبُ حلمَها لَهَبٌ تُلاطِمُهُ الصَّبا في مَقْبِسِ

الصبا نسيم الصبا فقال العقاد لولا أنها ماء لقلت أنها لهب ولم يحسن أن يقول مثل هذه العبارة البديعة (تلاطمه الصبا) فقال أذكى النسيم شظاياه . . . الاذكاء معناه الزيادة تقول أذكيت النار أى زدتها وقودا فكيف يكون الاذكاء لشظايا النار أى الشعل المتطايرة منها دون النار نفسها ؟ هذا فهم مقلوب والظاهر أن مغفلنا الكبير فهم من معنى أذكي بعثر وفرق ونحوهما

تأمل بيت مسلم وانظر الدقة العجيبة فى جعله الماء يطلب حلمها حين يمتزج بها وهى فى نفسها لهب ثائر فيكون لهبُها بالماء بمازجه كأنه يتلاطم مع نسيم الصبا ، ثم قابل هذه الصياغة بصياغة مغفلنا واحكم

(يكاد اذا طاف الغلام بجامها يرفرف حوليها الفراش ويغشاه)

جعل مجلس الراح فى غيط قطن عند (العشب الاثيث) حيث يوجد الفراش المنسلخ من دودة القطن . وهذا البيت يذكّر بالذباب وتهافته على كأس الشراب لان الفراش والذباب سواء غير أن الاول يتهافت على الضوء (١) والمعنى بعد مسلوخ من قول مسلم :

كأن نارا بها محرشة تهبها تارة وتغشاها

شبهها بالنار المحركة التى زادت وقوداوهم حولها فيرتد عنها المصطلى تارة و يدفو منها تارة ، فخطر للعقاد أنه لو كان الناس هنا فراشا لكان المعنى أحسن فسخهم فراشا .

ولكن انظر كيف يقول الشاعر الفحل فى مثل معنى العقاد حين يصنع الصنعة الباوعة التى لاتذكر النفس الا بالصور العالية الشريفة وهو ابن بابك في قوله :

ذو غرة كجبين الشمس لو برقت فى صفحة الليل للحرباء لانتصبا (٢)

---

(١) لا تنس أن الفراش لا يتهافت على الضوء الا ليلا وقصيدة العقاد ليس فيها ما يدل على أن مجلسه كان بليل ولا بسحرة فهذه احدى غفلاته . ثم إن الشعراء قد أكثروا فى تشبيه الراح بالنار حتى بالنار التى تشب ليرى الضالون فى الليل على ضوئها فيهتدوا بها الى القرى والضيافة والعمران . كما شبهوها بالمصابيح واللهب وشعرهم كثير فى هذه المعانى وكلهم كانوا يعلمون طبيعة الفراش ومع ذلك لم يذكر أحد منهم هذا المعنى فيما وقفنا عليه لان لهم ذوقا و بصرا وليس يغيب عنهم أن الكأس التى « يرفرف حوليها الفراش ويغشاها » هي أخت الكأس التى يقع فيها الذباب و يقذرها لان الفراش لا يرتد عن الضوء دون أن يخالطه ويقع فيه . وذكر الفراش على الكأس فى مجلس الشراب لا يكون إلا من عامى سوقى بارد الطبع ساقط الحرمة . فأنت ترى أنه ان كان العقاد هو الذى جاء بهذا المعنى فكلام الشعراء جميعا دليل على فساد ذوقه وعامية طبعه وإن كان سرقه بنصه فهذه أدهى وأمر لانها لصوصية وفساد ذوق معاً ؛ وكلمة « يغشاها » أقذر وأسقط قافية فى الشعر العربى من زمن الجاهلية الى اليوم

(٢) الحرباء دائما يطلب الشمس و يتقلب معها وهو يطلب معاشه بالليل فاذا طلعت الشمس اشتغل بها و يريد الشاعر ان وجه ممدوحه كشمس الظهيرة حتى لو طلع فى الليل على الحرباء لانتصب كما يفعل طبيعة عند ماتكون الشمس فى كبد السماء

ويقول مفتاح نفسه وشاعر نفسه وعينه !! « صاحب مرحاضه »

(لها في يمين الشاربين توهجٌ اذا ما خبا قلب من الحزن أذكاه)

لماذا جعلها فى اليمين خاصة مع أن أهلها يتناولونها باليمين واليسار ؟ ثم هذا المعنى كثير وإنما الشعر فى تعليله وكيفية وضعه و بيت العقاد من قول مسلم بن الوليد

تلتهبُ الكفُّ من تلهبها وتَحْسَرُ العينُ أن تَقَصَّاها

قال الكف ولم يقل (اليمين) ثم هى مادامت نارا أو شعاعا محرقا فيكون أثر توهجها فى الكف لا فى القلب . ولكن لعل العقاد سرق فيما يسرق سلكا مده من يمين حاملها الى قلبه فانتقلت الحرارة عليه !!! ومسلم يزيد فى بيته ان العين تحسر عن تقصيها كما تحسر عن الشعاع فى شمسه. وانظر كيف يتظرف الشاعر في ذكر توهج الراح وتلهبها على يد الساقى الجميل اذ يقول :

لا تتركِ القدَح الملآن فى يده إنى أخافُ عليه من تلهبه

وقول العقاد (إذا ماخبا قلب من الحزن اذكاه) من ابرد الكلام وأسخفه لان أذكاه معناه أضرمه وهيجه وما الحزن الا تسعير القلب ونعوذ بالله . وقد قال ابو فراس

اذا ما بَرَدَ القلبُ فما تُسْخِنُهُ النارُ

ويقول « صاحب مرحاضه »...

(تلوح كماء المُهل أما مذاقها فمن سلسبيل الخلد فى طيب صقياه)

قال فى الشرح ماء المهل شراب اهل جهنم !!!! فتأمل هذا الذوق ونعوذ بالله ثم نعوذ بالله .

وهذا المغفل قد نسى من أول بيت في قصيدته أنها « الخمر الالهية » وأنه يقول « على طريقة ابن الفارض » فذهب يسرق في كل بيت ممن لم يقولوا على هذه الطريقة ولا حرفا واحداً كما رأيت . وهل الخمر الالهية « تلوح كشراب أهل

جهنم » ؟ أخزاك الله (ياصاحب مرحاضُهُ) وجعل المهل شرابك ، كما جعلت فى شعرك المرحاض ثيابك

وقوله (مذاقها) ثم قوله (فى طيب سقياه) من الكلام الذى لا يلتئم لأن المذاق فى اللسان وحده فالصواب مذاقها فى طيب طعمه ، و بين الطعم والسقيا من البعد ما بين العناد والشعر . هذا نصف القصيده ، وكل ما مر بك فى اثنى عشر بيتا فقط من شعر (صاحب مرحاضه) فكيف يرى الناس الآن قيمة (صاحب مرحاضُهُ)....؟

« لو انتقدتُم ، لبَطَلَ ما اعتقدتُم »

(بديع الزمان الهمذانى)

على السفود

الشعرور !!!

(٤)

العقاد اللص (١)

في ٢٨ من اغسطس من هذه السنة (١٩٢٩) صدرت جريدة الحال الاسبوعية في القاهرة وفيها مقال عنوانه « لو . . . ! تأثيرها فى تاريخ العالم » — وفى ٢ من سبتمبر — بعد أربعة أيام — صدرت مجلة الجديد مفتتحة بمقال هذا عنوانه : لو ـ للكاتب القدير الاستاذ عباس محمود العقاد ! ! ! ! وكلتا المقالتين مترجمة عن ـ

---

(١) نشرت فى عدد شهر نوفمبر سنة ١٩٢٩ من العصور

الاستاذ « هيرتشو » مدرس التاريخ بكلية الملك في جامعة لندن نقلا عن مجلة الاوتلاين الانجليزية .

غير أن اللص الجبار!!! زعم لنفسه الشركة في علم استاذ التاريخ فساق الكتابة في أسلوب يوهم القارىء انه هو صاحبُ البحث ومخترعُ العنوان وانه لم يأخذ من المؤرخ الا ما يأخذه من « بنك قرشين » ؛ يعطى بهما قطعة من الفضة هى هما سواء فما أخذ الا بقدر ما أعطى وكان ذا مال فى قرشيه !!! ولم يكن لصا وهكذا يزيد العقاد على لصوص الأدب والكتابة بما فيه من هذه الوقاحة العامية الثقيلة التى هى سلاحه فى كل ميادينه . وليس هذا بعجيب فان في الوجود مثل العقاد حشرات وحيوانات سلحتها الطبيعة فى ميدان التنازع باسلحة من هـذا الباب بعضها وقاحةٌ من أمعائها . . . كالظَّرِبَانِ (على وزن القطران) وهو دُوَيْبَةٌ فوق جِرْ والكلب منتنةُ الريح كثيرة الف ... فهو سلاحها!! والحُبَارَى وهى تحارب الصقرَ اذا قرب منها بوقاحة (من الباطن) . . .

وكل مايكتبه العقاد فهذه سبيلهُ فيه كأن اللغة الانجليزية عنده ليست لغة ولـكنها .. ولـكنها مفاتيح كتب وآلات سرقة . ولـسنا ندرى ما الذى يضر هذا المغرور لو صَدَقَ الناس عن نفسه وقال فيما يترجمه إنه يترجمه وفيما ينقـله أنه ينقله؟ أما إنه إن كان يريد الفائدة للقراء فالفائدة أن ينقل لهم نقلا صريحاً بأمانة لاغش فيها ولاتخليط ولا دعوى ، وأن كان يريد الفائدة لنفسه ففائدة نفسه أن لايعرف أحد أنه لص كتب، فوجب من ثم أن ينقل نقلا صريحاً بأمانة ودقة لان آلافا من الناس يعرفون مايسرقه ويدَّعيه . ولـكن هناك عاملين يفـدان على العقاد . أحدهما غروره فيأبى إلا أن يجعل لنفسه شأناً فيسرق ويدعى والثانى غفلة قرائه وهم فى الأعم الاغلب من السواد الجاهل أو النصف جاهل

إن كلا العاملين متمم للآخر كما ترى فاذا أضفتَ اليهما لؤم الغريزة كما عرفت من قبل ـ خرج لك العقاد وإنَّ أخفَّ رذائله أن يكون لص كتب ؛

وهو لواستطاع أن يسرق مخ فيلسوف أوكاتب أوشاعر من جمجمته لسرقه ليكون جبار الذهن بشهادة أعمال المخ لا بشهادة تلك الطبقة من الضعفاء

وهنا لستطراد لا بد منه فان أديباً فاضلا ممن يعرفون اللغتين الفرنسية والانجليزية قال لنا ، آمنّا أن العقاد لا أهمية له شاعراً ولا أديباً وأن (مو بليات) الفرقتين عنده مو بليات أصحابها . . . قال ولكن العقاد كاتب سياسى لا يستغنى الوفد عنه وهذه هى أهميته ، وهذه هى شهرته .

قلنا فأما اذا انتهينا الى هذا فاننا كنا فى غفلة معرضين اذ كنا نطلع على جريدة البلاغ اليومية التى يكتب العقاد فيها ويعلم الله أن أول ما نتخطاه منها مقالة العقاد فما كنا نقرأ له إلا نادراً ونادراً جداً وجداً جداً ، اذ نعتقد أنه مأجور للسباب والمغالطة والنضح مما فيه ـ وقد أشرنا الى هذا المعنى من قبل ـ ولسنا نجهل أن ذلك هو أصل شهرة العقاد اذ يكتب كل يوم فى حوادث البلد وينضح عن الوفد الذى بلغ من تمكنه فى الامة أن قيل فيه بحق : لو رشح الوفد حجرا لانتخبناه. فلو كان العقاد حجراً لكان من كل ذلك كاتبا شاعرا أديباً فيلسوفاً جبار ذهن !! ولا تسأل وَيْحَكَ بماذا هو كاتب شاعر أديب فيلسوف جبار ذهن. ولكن سل بقوة ماذا؟

وفى بلادنا هذه قد يبلغ رجل عند قوم درجة قريبة من النبوة لا بوحىٍ يُوحَى ولا بعلم لَدُنِّى ولكن . . ولكن بعمامة خضراء أو حمراء مثلها كثير فى حوانيت الاقمشة لولا أنها على رأس دجال أستاذ فى أساليب الشعوذة . وعمامة العقاد هى مقالاته السياسية ولا ريب ، أما الوفد فمكانه مكانه

فالرجل كاتب سياسى كبير فى رأى رجال الشوارع اذ يرون اسمه كل يوم فى أذيال مقالات الحوادث أى ببرهان كبرهان قولهم : عنزة ولو طارت [1] أما فى

---

(١) رأى اثنان من العامة سواداً من بعيد فقال أحدهما هى حدأة لا شك فيها وقال الآخر بل هى عنزة فلما كانا على قرب منها طارت فقال الأول اما ترى ؟ قال الثانى : هي عنزة ولو طارت

رأى الاقطاب فما نظنه يعدو معنى كمعنى عربة الكنس لأقذار السفاهة التي يتلقام بها خصومهم السياسيون . وقد انقلبت هذه العربة مرة على صاحب جريدة البلاغ نفسه فبلغ من وقاحة العقاد أن يشتم صاحب الجريدة في وجهه وفي ادارته . كما تقدمت الاشارة الى ذلك وقال له فيما نقلوا « هل في الوجود اثنين مثلك ! ! ! »

كنا نتجاوز مقالات العقاد السياسية ولا نقرؤها فانه في رأينا يحتاج الى أن يعود ذرة من الذر في عالم الاصلاب وينقل الى سلسلة جدود عظماء كرام ثم يخلق ثم ينشأ ثم ينبغ ثم لعله بذلك لعله يكون كاتبا سياسيا وطنيا قريبا من درجة المرحوم أمين بك الرافعي الذي كنا نقرأ كل حرف يكتبه في مقالاته . ولكن بعد أن نبهنا ذلك الاديب أخذنا نتتبع مقالات العقاد التي يكتبها الآن في جريدة مصر فاذا هي تافهة لا طعم لها في كثير منها وقد يتكلم المتكلم بأبلغ منها وأحكم ولكن الحق حق فان العقاد يجيد أجادة حسنة في فرع واحد من الكتابة وهو مايجري فيه اللؤم والحقد ومايكون بسبيل من الدناءة وسقوط الكرامة حتى ليخيل الينا أن هذا الرجل ينطوي من نفسه على مكتبة كبيرة في هذه المعاني اجزاؤها طباعه وتجاربه ووساوسه وحوادثه وآماله ، فهو حين يكتب في ذلك لا يكتب ولا يؤلف وانما يقوم من نفسه مقام المستملي لا غير وكأن الى أذنه فم شيطان يخطب ! ! ! . .

قرأنا له في عدد يوم ٢٢ من اكتوبر سنة ١٩٢٩ مقالا بديعا عنوانه « سيماهم - دراسة نفسيه » يرمي بها بعض الخصوم السياسيين ، وقرأناها فوالله ماخرجنا منها إلا بأنها أبلغ وصف من قلم العقاد للعقاد نفسه في أحواله لا للخصوم ولا لغيرهم . انظر كيف يبدع الوصف في قوله . رأيت اختلافا في الصور والملامح ولكني لا أخطىء أن أرى فيهم جميعا علامة واحدة مشتركه بين أفرادهم المختلفين وهي علامة الرضى عن النفس والاغترار البليد المطبوع (تأمل) . فهذا مسدود الخلقة تتراءى على وجهه الحيوانية الكثيفة ويتمثل فيه شكل لوصحته (كذا) قليلا لخرج

منه خنزير أوحمار [١] (قل أو عقاد!!!) ولكنه هو فيما بينه وبين نفسه لايرى وراء مطالبه مطلبا ولا وراء احساسه بالدنيا موضعاً لاحساس (يعنى مثل العقاد) وهذا أنيق معجب بذاته فرح بما في رأسه مجمع الرأى على الاستهزاء بكل مايعدوه والاستخفاف بكل مالا يروقه (مثل العقاد) الى أن يقول . وهؤلاء وغيرهم يختلفون كما رأيت فى مظاهر الصور والاخلاق ولكنهم فى القرار العميق مبتلون بعاهة واحدة هى (الرضى عن النفس) والانحصار فيها وموت كل احساس بالايثار وكل عاطفة من عواطف السماحة التى تسمى بالعواطف الغيرية تمييزاً لها من عواطف الانانية التى تدور حول الذات وما يتعلق بالذات . انتهى !!

هذه كلها صفات العقاد بالذات وهى اخص ماعرف العارفون من خصائصه وكنا والله نود لو نقلنا هذه المقاله بحروفها ولكنك تتبين من تعرفه من وجهه ، وتلك النبذة التى نقلناها هى كالجلدة على الوجه الاخلاقى لذلك المغرور « المبتلى بعاهة الرضى عن النفس والانحصار فيها وموت كل احساس بالايثار الخ »

ومن للضحكات ان أديبا كاتبه (المجلة الشهرية) التى كانت تصدر فى

---

(١) جاء هذا المعنى فى كتاب رسائل الأحزان فى فلسفة الجمال والحب الذى صدر فى سنة ١٩٢٤ وكتب العقاد عنه فى البلاغ انه (كتاب نفيس فى الأدب ارق من النسيم وأعذب من الماء) ثم انقلب عليه بعد أيام من لؤمه وحقده . وقد سرق العقاد ذلك المعنى واستعمله فى كتابه مرارا . وهذا نص العبارة عنه فى صفحة ١٧ من رسائل الاحزان ليتأمله القراء ويروا كيف يسرق هذا اللص العقاد :

« ولا أثقل على نفسى من الناس (يعنى فى حالة خاصة من احوال الحب) فان ظلالهم تهبط على قلبى المتألم بأشباح ممسوخة وأراهم على وتيرة واحدة فى ثقل الروح وسواد الظل ولا ذنب لهم غير ان ولياً من أصفياء الله خرج يتوضأ يوما وقد أقبل الناس على وضوئهم فكشف الله عنه حجاب الحيوانية فنظر فاذا لكل رجل وجه ، ولكل وجه سحنة حيوان ، ولكل حيوان معنى ، وإذا شهوات انفسهم قد مسختهم مسخاً وقامت ظلالها على وجوههم بجلود الحمير والبغال والقردة والخنازير ومادب ودرج . فالمهم غوائل لاهل النفوس »

القاهرة من سنوات ، كتابة مقال ثم أرسلت اليه مسودة الطبع ليصححها فاذا فيها ورقة منسية واذا هذه الورقة كتاب من (عباس محمود العقاد) أرسله بخطه لمحرر المجلة يقول فيه أنه صحح البروفة ، وأرجو أن تضع مقالى فى مكان مناسب لانى لا أرى نفسي أقل من أى أديب فى هذا البلد » هكذا هكذا . ولكن يظهر أن كلام العقاد يكبر سنة بعد سنة فلم يكن « أقل من أى أديب فى هذا البلد » سنة ١٩٢٤ ثم كبرت الكلمة فصارت فى سنة ٢٩ أنه أكبر من أى أديب فى هذا البلد ، وسيكتب بعد حين كما كتب نيتشه فى كتابه الاخير (Ecce Homo) أنا « أنا هو » وجعل فصوله هكذا . لماذا أنا عاقل لهذا الحد ، لماذا أنا نشيط الى هذه الدرجة ، لماذا أكتب هذه الكتب الممتعة ، أنا أعظم كتاب المانيا ، أن قراءة كتاب من كتبى لاعظم شرف يظفر به انسان ، الخ ويومئذ يخرج للناس كتاب « لماذا أنا جبار الذهن ؟ » والعقاد يقول مثل هذا الآن ولكنه لا يكتبه ، فاذا طمست البقية الباقية من بصيرته كتبه ولو تقليداً لنيتشه

نعود الآن الى استيفاء النقد فى قصيدة (الخمرة الالهية) إجابة لطلب ذلك الكاتب وتوفية لما مر بك فى السفود الرابع

قال عباس محمود العقاد الملقب بصاحب مرحاضه .

تشابه في عين النديم وما انتشى فوارغ صف كالثريا وملآه
كؤوس كجام السحر يكشف وجيه لعينيك من سر العوالم أخفاه

وفسر جام السحر فى الشرح بقوله . هى الكأس التى يزعم السحرة أن من نظر اليها انكشف عنه الحجاب

فاما البيت الأول فسخيف بالغ فى السخف لانه يريد ان النديم متى نظر الكؤوس خالطه السكر فتشابه عليه ما امتلأ وما فرغ . وهذا بعينه قول ابن الفارض .

ولو نظر النـدمان ختم إناءها لاسكرهم من دونها ذلك الختم

وكلمة (فوارغ صف) من لغة النشيالين والحمالين لا من لغة الادباء . ولا ندرى

كيف تذكر فى وصف الخمر ، الا إذا كانت من ذوق عامى كذوق العقاد . وانظر كيف صنع الشاعر الحقيق حين أراد أن يأتى بهذه المادة اللقطية في شعره قال واصفا الخمر وصفاءها حتى كأنها الكأس :

خفيت على شُرّابها فكأنما يجدون رِيّا من إناء فارغِ

وهذا المعنى مولدٌ من قول أبى تمام

تُخفى الزجاجةُ لونها فكأنها فى الكف قائمةٌ بغير إناء

وقد تلاعب الشعراء به واكثروا فيه على صور مختلفة ولكن أحسن ماقيل في الاشتباه على النديم من تأثير الخمر قول القائل .

مضى بها ما مضى مَن عقل شاربها وفى الزجاجة باقٍ يطلبُ الباقى

فكل شىء رآه ظنه قدحا وكل شخص رآه ظنه الساقى

ونظن أن ابن الفارض أخذ من ابن الزيات فى قوله

كفانِىَ من ذوقها شمُّها فرحتُ أجرُّ ثياب الثَّمِل

فنقله ابن الفارض من الشم الى النظر وسرق العقاد سرقة عمياء لانظر فيها !!!

ثم إن الثريا مجموعة نجوم ملتمعة يخطف بريقها ، فلا يمكن أن تشبه بالكؤوس الفارغة . ومع أن العقاد سرق هذا التشبيه نفسه من ابن المعتز ، فانه في هذه أيضا أعمى . فابن المعتز يصف لك الثريا كأنها هى هى بلونها ونجومها واشتعالها فى قوله

وقد لمعت حتى كأن بريقَها قوارير فيها زئبقٌ يتزجزجُ

فهذا لعمرك هو التشبيه لا (فوارغ صف) ولعنة الله على هذه السوقيه المبتذلة . أهى كؤس يارجل أم زكايب (فوارغ) . . . ؟

وأما البيت الثانى من بيتى العقاد فمعناه ضخيف لان الخمر لاتظهر شيئاً من سر العوالم فضلا «عن اخفى أسرار العوالم» ؛ انما تظهر سر صاحبها وفي ذلك يتلطف مسلم ابن الوليد بقوله .

بُعِثتْ الى سر الضمير فجاءها سَلساً على هَذَرِ اللسانِ مَقُولا

ومثله كثير في الشعر . فان أريد وحى الخمر وتأثيرها فى الذهن والقريحة فأفضل مافى هذا المعنى قول شاعر الفرس : شربنا الكأس فجرت الحقيقة التى كانت فيها على ألسنتنا . ويقول صاحب مرحاضه :

شربنا وغنّينا وما فى عدادنا سوى شارب قد باع بالخمر دنياه

يعنى كلهم سكارى . وإذا كانوا سكارى فما هى الدنيا عندهم إلا الخمر . فكيف اذن يبيعون بها الدنيا ؟ أظن هذا المتشاعر انما يريد معنى العامة فى قولهم : باع دينه بالخمرة . وهذا كلام مستقيم ينطبق على السكّير لأن الخمر ليست من الدين . بل العامة أهدى من العقاد إلى حقيقة المعنى لأنهم يجعلون شعار الحشاشين والسكّيرين هذه الكلمة : « خراب يادنيا عمار يامسخ » فكيف اذن يبعت الدنيا بالخمر ولا دنيا إلا فيها عند أهلها ؟ لعله يريد أسباب المعايش كالتجارة والصناعة ونحوها فتركوها واقتصروا على الخمر . فاذا كان هذا معناه وقصده فهم حُثالة الناس وزُنَاتَهم الذين لا قيمة لهم ولا منزلة كبعض سفلة العامة فى بعض الحانات التى يراها من يمر فى شارع كاوت بك !!!

إن مجلس الشراب لا شعر فيه بعد الخمر إلا من الجمال والأخلاق العالية التى لا تكون فيمن باعوا دنياهم بالخمر كما يقول النواسي

لا يطيب الشرابُ الا لقوم جعلوا نَقْلَهم عليه الوقارا
لا كقوم فى ضجةٍ وصُياح كنَهيق الحمارِ لاقى الحمارا

فهؤلاء الآخرون هم صَحْب العقاد في خمرته « شربوا وغنوا » يعنى ضجوا وصاحوا كنهيق الحمار لاقى الحمار ...

ثم يقول صاحب مرحاضه

إذا طاب فى الفردوس ريّا نسيمها فأطيبُ في دار الشقاوة رياه

كان يصح هذا القياس لو أن الدارين (الفردوس ودار الشقاوة) تقاس احداهما على الأخرى فأما وهما نقيضان فلا وجه لقياسهما ولا للقياس بمافيهما .

وهذا البيت من الأدلة على جهل العقاد بالمنطق سليقةً وعلماً وبياناً، والذين يعرفونه معرفة المخالطة والمحادثة يعرفون منه الجهل بكل علوم العربية. وانما هو رجل يحترف الصحافة فهو مضطر أن يقرأ وأن يكتب، قدرَ ما هو مضطر أن يأكل وأن يشرب فأصبح الكلام له كالعادة. فمن لم يعرف هذا منه ظنه عالما أو أديباً أو جبار ذهن !!! والحقيقة أنه ثرثار صباب، لص أدب، وكتابة، لسانه أطول من عقله، وعقله يجيء من انجلترا كلما جاءت مجلة أو كتاب ...

ان بيت (صاحب مرحاضهُ) قياس ذو طرفين ليس للثاني منهما معنى الأول في نفسه، فخمر الفردوس ليست من خمر دار الشقاوة إذ هي لا تَغُولُ العقلَ ولا تدفع إلى الإثم ولا تُسقط المروءة ولا تذهب بالوقار الخ الخ.

فلا يدل طرفا القياس دلالةً واحدة فمن ثَم لا يصح من جهة الثاني مايصح من جهة الأول فلا تكون النتيجة التي ينتقل اليها الفكر إلا فاسدة، ويصح تركيب هذا المنطق كقولك: إذا كانت الحياة في الفردوس خالدة فهي في دار الشقاوة خالدة !!! وأين حياةٌ من حياة وأين دارٌ من دار، وأين العقاد من المنطق؟ أنظر قول ابن الفارض في أصل هذا المعنى:

وعندي منها نشوةٌ قبل نشأتي معي أبداً تبقى وان بَلِيَ العَظْمُ

فهو قد جعل النشوة التي هي سرور الخمر آتية معه من دار النعيم فهي خالدة فيه وهي بذلك خالدة به ما بقيت منه ذرة على الأرض بعد موته وبلى أعظمه. لأن ذرات الجسم لا تتلاشى وانما تتحول. فاذا كان ذلك مبلغ النشوة حتى في الذرة منه بعد الموت والبلى، فكيف بها في جسمه حياً يحس ويشعر؟

هذا وأبيك غَوْرُ الشعر لا عراء صاحب مرحاضهُ وتلك هي الخمر الالهية لا خمرة حلس الحانة الذي يشهد على نفسه وصحبه بأنه «ما في عدادهم إلا فتى باع بالخمر دنياه» فهم كما قال أخوهم من قبل عبدُ الله بن جدعان

شربتُ الخمر حتى قال صحبي ألستَ عن السَّماء !!! بمستفيق ؟
وحتى ما أوَسِّدُ في مَبيتي أنام به سوى التُّربِ السحيقِ

وحتى أغلقَ الحانوتُ رهني وآنستُ الهوانَ من الصديق

هذه هي صفات الذين « باعوا بالخمر دنياهم » لا يفيقون من السفاه ولا يتوسدون فى نومهم إلا على (كوم تراب) وبلغة هذا الزمان « تلتوار!!! »

ثم ان فى بيت العقاد غلطة أخرى فقد أدخل فاء الشرط على الخبر المقدم في غير موضعه ، وأخر المبتدأ فأصبح كلامه كقولك . إذا كان زيد كريماً فأكرم أبوه وأنت تعنى فأبوه أكرم ، وهذا فاسد كما ترى ولا تجيزه ضرورة الشعر بل لو أجازته من جهة العربية على أضعف الوجوه لكانت من جهة البيان إعلاناً عن جهل الشاعر وضعفه وتهافته (١)

ويقول صاحب مرحاضه :

ولو مزجوا بالخمر طينة آدم لعاش ولم يدر القطوبَ محيّاه

نعوذ بالله ، وبالله نعوذ . لمن ترجع هذه الواو فى قول هذا الرقيع (مزجوا) ، وهل خلقت آدم فى رأى العقاد جمعية آلهة فيعود عليهم ضمير الجمع أم صُنع آدم فى معمل كماوى ملائكي ؟ وهل تريد دليلا على ضعف العقاد فى العربية

---

(١) لا يجوز تقديم الخبر فى مثل هذا التركيب حتى يصح دخول الفاء الرابطة للجواب عليه لأن هذا التقديم يؤدى إلى رجحان عمل آخر يبطل عمل المبتدأ فى خبره ويجعل الخبر هو العامل فى المبتدأ وتكون كلمة (رياه) كأنها فاعل (لأطيب) وبذلك يحتاج الكلام لتأويل وتعليل وحشو من هنا ومن هناك حتى يستقيم الجواب ويرتبط بالشرط وكل ذلك فى غير شيء لأن بيت (المراحيضى) ليس من أبيات الشواهد فى النحو ... ولا هو من العرب الامميين الذين كانوا يقولون الشعر ارتجالا أو على البديهة أو توجههم فيه طبيعتهم اللغوية بأسباب يخالفون بها الخ . وقد قال ابن فارس : ما رأينا أميراً أو ذا شوكة أكرم شاعرا على ارتكاب ضرورة فاما أن يأتى بشعر سالم أو لا يعمل شيئا .

والضرورة من مثل العقاد لا تسمى ضرورة لانعدام أسبابها التي أجازتها للعرب وانما هى عجز عن التركيب الأصح والاقوى فهى فى باب الضعف والغلط لا فى باب التأويل والتخريج .

أقوى من هذا البيت وهو كان يستطيع أن يبنى الفعل للمجهول فيقول (ولو مُزجت) الخ وهل نسى الرقيم أنه يقول في (الخمر الآلهية) ؟ أفمن الالهية أن يعترض على الاله ويعتبر الخلق والايجاد صناعة كالصناعات يقال فيها «لو» لأن فيها أبداً مكاناً للتحسين ومكاناً للاتقان ومكاناً للزيادة ولأنها صورة النقص الانسانى في جانب الكمال الذى يغمره ولا يزال من فوقه فى كل ماحاول الانسان أن يكمل فيه ؟

ولكن الغراب أراد أن يقلد الطاووس، وأراد العقاد أن يقلد ابن الفارض، ولابن الفارض قدس الله سره أبيات كثيرة في « لو » هذه مر بعضها ومنها :

ولو نَضَحُوا منها ثرى قبرِ ميتٍ ... لعادت اليه الروحُ وانتعش الجسمُ
ولو طرحوا فى فَيْء حائط كَرْمِها ... عليلا وقد أشفَى لفارقه السُّقْمُ
ولو قَرَّبوا من حانها مُقعَدا مشَى ... وتنطِقُ من ذكرى مذاقتِها البُكْمُ
ولو خُضِبَتْ من كأسها كفُّ لامس ... لما ضلَّ فى ليل وفى يدهِ النَّجمُ
ولو نال فَدْمُ القوم لثمَ فِدَامِها ... لأكسبه معنى شمائلها اللثمُ

تأمل هذا النور للشعرى وانظر كيف يضيء الكلام كأن فيه بقايا من روح قائله ثم اخرج من هذا الأفق إلى قول العقاد «ولو مزجوا بالخمر طينة آدم!!» فانك من هذه الكلمة وحدها ستقع فى أشد ظلام من نفسٍ جاحدة ليئة ، وفى أصعبِ التواء من صدر حقود ضيق

وما بيت العقاد إلا توليد سخيف من البيت الأول لابن الفارض فغيّر (ثرى قبر ميت) بطينة آدم « ولو نضحوا » بلو مزجوا ، « ولعادت اليه الروح » بعاش ، « وانتعش الجسم » بقوله السخيف « لم يدر القطوب محياه » كأن الوجه يدرى ولا يدرى !! وكأن القطوب علم . ومن أقبح ماوقع فيه هذا المغرور أن يقيس على قول ابن الفارض « ولو نضحوا » فيقول ولو مزجوا ، ثم لايتنبه الى أنه بهذا قد خرج الى الاحالة ووقع فى الكفر وجاء بما لا يفهم أحد ، كأن همه

كل همه منصرف الى السرقة بلا فكر ولا فهم وهو مستيقن أنه بهذه الشعوذة يصبح جبار ذهن عند المغفلين من أمثاله .

وقال صاحب مرحاضهُ :

اذا رسب القلب الحزين طفت به فيسمو الى حيث السعادةُ تلقاه

تأمل يا هذا سخف هذا التركيب وقل فى أى شيء يرسب القلب الحزين حتى تطفو هى به الى حيث . . . الى حيث ياعقاد قبحك الله وقبح شعرك البارد الركيك. هل فى البيت أكثر من أن الخمر تذهب حزن الحزين؟ والباقى كله حشو ولغو او هو يخبر بذلك كما يخبر به كل عامى لا يزيد العقاد عليهم الا الوزن.

ألا تضرب هذا البيت بالنعل حين تقرأ قول الافريقى المتيم

وفتيةٍ أدباءٍ ماعلمتهمُو شبّهتهم بنجوم الليل اذ نجَمُوا
فَرُّوا الى الراح من خطبٍ يُلِمُّ بهم فما دَرَتْ نُوَبُ الأيام أين هُمُوا

هكذا فليقل من يقول والا فليسكت ولكن بأى شيء يصير الأحمق أحمق ؟

والتجديد عند العقاد وأمثاله هو ستر عجزهم عن مثل هذه الصناعة البيانية التى تحتاج الى طبع وقوة وذوق وخيال . فهو كقانون تأجيل الدفع (الموراتوريوم) فيه من عذر التشريع لبعض الناس قدر مافى هذا البعض من عذر الافلاس !!!! ويقول صاحب مرحاضهُ

اذا نزل الندمان فى ملكوتها تلاقوا فلا ذل هناك ولا جاه
كأن الطلى بحر فمن خاض لجه تعرى فلا جند تمار ولا شاه

كتب الطلى بالياء وهى بالألف . وحاصل البيتين أو الخرابتين (١) !!! أن الخمر تساوى بين شرابها من ملك وسوقة كالبحر متى نزله الجميع تعروا . وهذا معنى مطروق مبتذل وهو متداول بين الحشاشين على الخصوص فعندهم ان لاسلطان الا

(١) من الغريب أن خرابات العقاد مقدسة عند العقاد . فهل هى خرابات روما وأثينا . . . ؟

(الكيف) . ومن ذلك قول المأمون : مجلس الشراب يستوى فيه الكبير والصغير والرفيع والوضيع والحر والعبد ، وهو بساطٌ يطوى بما عليه .

تأمل يارعاك الله قوله (بساطٌ يطوى بما عليه) فانها بالعقاد وشعره وما قال وما سيقول وهى حقيقة أن تكون كلمة ملك اذا قابلتها بقول صاحب مرحاضه (بحر يتعرى فيه الجميع) فان هذه كلمة تشبه أن تكون كلمة خفير من خفراء مجلس بلدى اسكندرية الذين يقيمهم على الشاطىء .

ويقول (تلاقوا) أفليس كل من نزلوا في مكان واحد تلاقوا وهل تلاقى الخادم وسيده فى مكان يجعلهما فى درجة واحدة؟ أرأيت أقبح من هذا عجزاً فى العربية وهو لو قال (تساووا) لاستقام المعنى .

وقوله (ولا شاه) مضحكة ولعلها أبرد قافية فى الشعر العربى على الاطلاق وأسخف ما في القديم والجديد جميعا لاننا لسنا في زمن الشاه ولاشاهنشاه .

أما والله لقد سئمنا فلنوجز فى الأبيات الباقية . قال صاحب مرحاضه :

إذا أعوز الناسَ البراقُ فانها براق إلى عرش الجلالة مرقاه

أيرتقى الشارب بالخمر إلى عرش الله كما ارتقت الانبياء بالبراق ؟ وهل ارتفع البراق إلى العرش نفسه ؟ وهل سواء مراتب النبوة ومراتب (الناس) ؟ كل هذه أسئلة لا توجه لمثل هذا اللص الرقيع فان اللص لو لم يكن عند نفسه فوق السؤال والجواب لما سرق ولا أثم . ولكن من أين خطر للعقاد تشبيه الخمر بالبراق فى العروج إلى السماء ؟

من قول ابن الرومى إذ يقول :

يالها ليلةً قضينا بها حا جاً وان علّقتْ قلوباً بحاج
رفعتنا السعودُ فيها إلى الفو ز فكانت كليلة المِعْراج

خطر لهذا السخيف (المراحيضى) (١) أن يجعل مكان (السعود)

---

(١) هذه النسبة أخف من (صاحب مرحاضه) فلا مانع أن تحل محلها فيقال

الكؤوس فصارت الكأس بُراقاً ولا جرم ، ولعل اللص الاعمى خير من اللص الاعور ، لان كليهما لا بد أن يقع ولكن نصف نظر الثانى يضاعف عليه أثم الاول. وتوليد العقاد دائما نصف ميت كما رأيت لانه نصفُ شاعر ونصف أديب واذا بلغ الرجل من سخف التوليد أن يشبه الخمر بفَرَس الانبياء فقل انه نصف أعمى فى نظره انى النحاس والفرس

وقال المراحيضى :

عجبتُ لدنٍ لا يخفُّ بروحها كما خف بالمنطاد روح تولاه

روح يعنى غاز ، وتولاه يعنى تمدد فيه . فهنا انقلبت الخمر الآلهية فى شعر هذا المراحيضى غازاً كان ينبغى أن يطير بالدنان و يمثل على مسرح الجو هذه الحماقة القائمة برأس العقاد وخياله . وهذا أيضاً توليد نصف ميت من قول الاندلسى وهو معنى غريب بديع

ثَقُلَتْ زُجاجاتٌ أتتنا فُرَّغاً حتى اذا مُلِئَتْ بِصرفِ الراح
خفَّتْ فكادت تستطيرُ بماحوت وكذا الجسومُ تخفّ بالارواح

جعل الزجاجات الفارغة ثقيلة كجسم الميت حتى اذا ملئت بالخمر خفت كجسم الحى . ومتى عرفت أن الحى اذا مات ثقل جسمه أدركت جمال هذا المعنى وابداعه الى الغاية ، ورأيت فيه حقيقة الشعر الحى لا كذلك الشعر الذى يريد أن يجعل (الخابية) منطاداً ويلقى في الخمر طعم الغاز والبنزين !!!

فى التاريخ عباس محمود العقاد الشاعر الملقب بالمراحيضى . . . أو صاحب مرحاضه ومن عجائب الاتفاق مانشرته جريدة الكشكول فى عدد ١٣ من دسمبر سنه ١٩٢٩ من أن حكمدار بوليس اسوان لقيه العقاد فى سنة ١٩٢٢ وناقشه فى امر ، قال « فلم ير الحكمدار فى ذلك العهد ردا على سماجة هذا العقاد . . ابلغ من ان يكلف احد الجنود بسوقه الى . . . . ليسجن فيه . قالت وهنالك بات العقاد . . حتى الصباح ، والعقاد أكرم منزلة فلا نصدق هذا الخبر ولكنه من فكاهة الاتفاق

وقد ولّد ابن نباتة من معنى الاندلسي فى قوله :

وكاساتٍ أشدُّ يدى عليها مخافةَ أن تطير من المراحِ

فجاء شاعر آخر وأخذ من ابن نباتة وأبدع ما شاء في قوله :

مُشَعْشَعةٌ تكادُ من القنانى تطير بما حوته من المراحِ

وهذا الشاعر هو وابن نباتة كلاهما من متوسطى الشعراء ، وكلاهما مع ذلك أشعر من المراحيضي كما ترى

وقال صاحب مرحاضهُ :

وكيف حواها الكوبُ والكوب جامد يدور فلا يهتز في الكف عِطفاه

لا بأس أن يكون للكوكب عطفان ويدان ورجلان أيضاً !!! ولكن اذا اهتز فى الكف عطفاه انداق ما فيه فكان يحسن بالعقاد أن يجعله يدور حول نفسه فوق الكف كما تدور (نحلة) الصبيان التى يجرونها بالخيط الملتف عليها فتدور على سنها ثم يضعونها على أكفهم وهى دائرة !!! والمعنى الدقيق في هذا البيت ان العقاد عجب للدن كيف لا يطير بما فيه ، ولما كانت الكأس لاتسع إلا قليلا مما فى الدن كان طبيعياً أن لا يكون فى هذا القليل من القوة إلا ما يكفى لهز الكأس دون حملها وطيرانها !!! هذا كثير على ذكاء العقاد ولكن فاته أن نسبة ما فى الدن الى وزن الدن لا تكون الا كنسبة ما في الكأس إلى وزن الكأس . وإذن كان يجب أن تطير هى أيضاً إذا صح معنى البيت الاول .

وانظر اين معنى المراحيضى وصناعته من قول ابن نباته يصف الخمر والكأس

مَصُونة تجعل الاسرارَ ظاهرة وجنة تتلقى العين بالهب

خفت فلو لم تُدِرْها كفُّ حاملها دارت بلا حاملٍ فى مجلسِ الطربِ

ألا يغور هذا العقاد الآن وهو يرى كل شعر أوردناه كأنما يبصق فى وجه شعره ؟

وختام قصيدة المراحيضى قوله :

تغنوا بما شاؤا وعنيت بالطلى وكل يغنى في الانام بليلاه

وكتب الطلى بالياء وهى بالالف لاغير اذهى بالياء بمعناها الرقاب .

والسرقة في هذا البيت ظاهرة معروفة من قولهم : « كل يغنى على ليلاه » ولكن يبقى أن التى انقلبت فرساً أو براقا من قبل انقلبت هنا امرأة اسمها (ليلى) .

ألا يغور العقاد الآن والقراء جميعاً يبصقون على شعره ؟

على السفود

وللسَّفودُ نارٌ لو تَلَقَّتْ بجَمِرها حَديداً ظُنَّ شَحْما
ويشوى الصَّخْرَ يتركه رَماداً فكيف وقد رميتَ فيه لحماً

الفيلسوف . . . (١)

بقى من أوصاف العماد الشاعر المراحيضى (أو صاحب مرحاضه) وصف لم نعرض له فيما أسلفنا من الكلام عليه وهو وصفه بالفيلسوف مع أن هذا المراحيضى عند نفسه شديد التحقق بهذا الوصف وقد ينزل عن إحدى عينيه لمن يقلعها بمسمار ! ! ولا ينزل عن كونه فيلسوفا وفليسوفا وفيلوفا . . .

---

(١) عدد شهر دسمبر من العصور

ومما أضحكنا ذات مرة أن كاتباً فى مصر من داعيـة الشيوعيين الحمر مر على جلد العقاد . كما تمر القملة هينة لينة إلى أن تغمس خرطومها ، فـكتب مقالة فى جريدة البلاغ يصف بها فلسفة « المراحيضى » ويقرظها ، ثم غمس خرطومه ينبه العقاد إلى مذهب وحدة الوجود . فتناوله العقاد كما يتناول أحد البرابرة قملة من قفاه ! ! وكان مما كتب قوله : أن الكاتب الذى تنبسط أمامه آراء جميع الفلاسفة (تأمل) ليتصرف فيها (تأملا) لايحتاج أن يحيله فى آخر الزمان (تأملوا) من يذكره بوحدة الوجود الخ الخ . فالعقاد يتصرف فى جميع فلاسفة الدنيا حتى كأن الله لم يخلقهم إلاليفكر واله ويقدموا لذهنه الجبار جزية أفكارهم الذليلة الضعيفة وينادوه من وراء الغيب يامولانا صاحب مرحاضه املأ مرحاضك الفكرى ! ! ! ؟ وما على مصر بعد هذا أن يحتلها الانجليز ، فمن فى مصر جبار ذهن من جبابرة آخر الزمان احتل دول الارض كلها وحكمها من فلاسفتها ! ! ومن شعرائها ! ! ومن كتابها ! ! !

° ° °

لما أنشأ المجلس البلدى في مدينة (كذا) خزاناً للماء فقامه على عمد طوال من الحديد الصلب وملأه بماء النيل لينحدر منه فيصعد في أنابيب إلى منازل المدينة . قال الخزان للنيل ماشأنك ويحك ! ومامقامك فى هذا البلد الذى أنا ، أنافيه ، وحسبك أن أقول أنا لتعرف من أنا . ألاترى أيها الاعمى أنى أنا النهر الحقيق وأنى هنا جبار الماء وأن المدينة بناسها وبهائمها وشوارعها لا تشرب ولا تنضح إلا منى فلو أمسكت عنها يوما أو بعض يوم لهلكت ولعاد الناس من جفاف حلوقهم وتضرم أحشاؤهم فى مثل حالة نزع الميت واحتضاره ؟ قالوا فمازاد النيل على أن التفت اليه وقال : أيها الطويل الاحمق ! أما مع المنازل وأشباه للنازل من قراء الجرائد فتكلم كيف تعطى ، وأما معى أنا فقل ويلك من أين تأخذ ؟

هذا هو مثل الفيلسوف المراحيضي يرجع الى ماقررناه مرارا من أنه مترجم

ناقل ثم تنقصه أمانة الترجمة لانه يأبى إلا أن يدعى والا أن يتصرف بنباوته فيفسد فى الجهتين ولاتبقى فيه إلا الدعوى ، ويكابر فى هذه الدعوى ويقاتل عليها فلاتبقى فيه إلا الوقاحة . إنما يريد الناس من يقول هذا رأيى لا رأى فلان وفلان ، وقلت أنا لاقال فلان وفلان وساعات بين مؤلفاتى لا (ساعات بين الكتب) ! وإنى لأفضل من يكتب صفحة واحدة في اللغة العربيه بأسلوب بديع ومعان طريفة وخيال سام وشخصية ظاهرة فى كل سطر ، على من يترجم كتابا كاملا من لغة أجنبية وان كان لهذا فضله فى معناه وطبقته ، لان الاول هو ثروة اللغة وبه وبأمثاله تعامل التاريخ ، وهو الذى يحقق فيها فن ألفاظها وصورها فهو بذلك امتدادها الزمنى وانتقالها التاريخى وتَخَلقُها مع أهلها انسانيةً بعد انسانية فى زمن بعد زمن ، ولا تجديد ولا تطوّر الا فى هذا التخلق متى جاء من أهله والجديرين به . أما الثانى فله فضل دابة الحمل وفضل عملها الشاق النافع الذى لابد منه . ولكن لاينبغى للعقاد ومثل العقاد أن يقول للغة أنا أوجدت وأنا فعلت الا إذا جاز للحمار الذى يحمل شيئاً الى بيتك من طعام أو متاع أنَ يقول لقيّم الدار : خذ هذا ماصنعته لكم ! ! ! وماعليك ياحمار لو استكملت فضيلتك ، وقلت ماحملته لكم ؟

للمراحيضى رأى فلسفى فى تعريف الجمال — وناهيك من ذوق من يقول في شعره : مرحاضه أفخر أثوابنا ويشبه رُضَاب فم حبيبته بالقيح والصديد مما يَنْغِسلُ من جلود اهل النار . .. كامر بك . وما الذوق الا أداة الجمال وسبيل فهمه وتصويره كما هو مقرر ، فيقول العقاد فى رأيه هذا : « ان الجمال هو الحرية » ويرى ان هذا ابتكار فاه به الفلاسفة ويكاد يقول ان العقل الانسانى بعد هذا الابتكار لم يبق بينه وبين الالوهية الا وثبتان أو ثلاث بمثل هذه القوة الجبارة ! !

وانما ذكرنا هذا الرأى لانه يهمنا جدا في بيان سخافة هذا الرجل وغروره وحماقته ثم هو في رأى المراحيضى ابتكاره الخاص به وعمود فلسفته وأسير أفكاره

مع انه لو عقل لستره على نفسه ولكن الرجل ضعيفُ ملكة التوليد فيشبه فيُشبِّه عليه . ويخيل اليه فيخال ويقول ابتكرتُ وتقول الحقيقة بل أفسدت ، ويقول هذا نبوغي وتقول ألسنة النقد بل هذا سوء فهمك .

أما ان للعقاد توليداً في شعره وآرائه مما يقرؤه ويطلع عليه أو يمارسه ويشاهده فهذا صحيح ولو لم يبتله الله بالغرور بنفسه ثم بمبصه وامتحان آرائه لكان يرجى أن تنمو عنده الملكة ويبلغ مبلغاً ، ولكن ماذا تقول في رجل لسانه من شؤمه ولؤمه لا يكون دائما الا امام تفكيره ؟ قال له مرة أديب كبير — امام محرر احدى المجلات الشهيرة ، ستحم ثلاثة أشهر ياعقاد عند ماتقرأ في كتابي الجديد كلمة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في تقريظي . فرد المغرور : « الشيخ محمد عبده لا يعرفك » مع ان الشيخ رحمه الله توفي قبل أن يكون العقاد معروفا وقبل أن يكتب مقالة ، ولم يكن هذا العقاد من ذوي مجلسه أو ذوي جماعته أو من خاصته وكتاب الشيخ بخطه في يد الاديب ولكن لعن الله الحقد ولعن الله الحماقة

ثم ماذا نقول في رجل عقاد مراحيضي رأى سعد باشا زغلول نابغة دنياه ودهره يقرظ كتاب « إعجاز القرآن » فيقول يصف بلاغته وبيانه : كأنه تنزيل من التنزيل ، وينشر تقريظ سعد في كل الصحف وهو حي بعد في سنة ١٩٢٧ فيجن العقاد — أمام محرر تلك المجلة أيضا — ويتهم صاحب الكتاب في وجهه بانه زوّر . . . تقريظ سعد ؟ مع ان كتاب سعد باشا في يد صاحب الاعجاز ومع أن كتاب الاعجاز هذا أمر جلالة مولانا الملك بطبعه على نفقته الخاصة ونشر تقريظ سعد في صدر هذه الطبعة الملكية وأصبحت « كأنه تنزيل من التنزيل » مثلاً سائرا

اللهم إنك تخلق مانفهمه ومالا نفهمه وقد يكون العقاد بقية انسانية رُزقت هذا الطول هُزُوا بها ونحن لا ندري

يرى القارىء من هذين المثلين ومما قدمناه في السفود الثالث من زعم العقاد — أمام المحرر أيضا — أنه اذكى من سعد باشا وأبلغ من سعد باشا — ان هذا

العقاد كالآلة البخارية الخربة من بعض جهاتها ، تعمل ولكنها تفسد ، وتدور ليقول الناس ليتها لاتدور ، وهي بخارية من آخر طراز ، ولكنها حمقاء كذلك من آخر طراز

بتلك الحماقة المغرورة أضعفت ملكة التوليد عند المراحيضي وكل النبوغ انما هو في هذه الملكة واستحكامها . فلن يفلح العقاد من بعدها ولن يكون الا تابعا كان ولن يخرج الا الآراء المضحكة من مثل قوله ان الجمال هو الحرية .

كيف جاء بهذا الرأى أعنى كيف كان توليده اياه . إنه رأى الفيلسوف شوبنهور الالمانى (١) يقسم الدنيا الى فكرة وارادة ويقول إن الدنيا في « الفكرة » هي الدنيا المكنونة قبل أن تظهر في حيز الاسباب والقوانين وعلاقات الاشياء . بعضها ببعض . وان « الارادة » هي هذه الدنيا التي نكابد أوصابها وقوانينها ولانذوق السرور فيها الا لسبب من الأسباب التي تدور عليها أغراضنا وشهواتنا . ولما كان سرورنا (بالجمال) سرورا بلا سبب ولامنفعة (٢) فهو من قبيل الفكرة المجردة وننظر اليها كما هي في عالمها المنزه عن الاسباب والعلاقات (٣)

قال : والسر في وضوح احساسات الشباب (وجمالها) الكمالي هو كما يقول شوبنهور اننا في عهد الصغر نرى فكرة النوع وراء صورة الفرد اذ تلوح لنا لأول مرة لأننا نتمثل في كل فرد نموذجا جديدا لم تسبق لنا معرفة به ولم تظهر لنا آية دلالة أخرى عليه ، فالشجرة الأولى التي نراها تمثل لنا فكرة الشجر كله أى نموذج هذا النوع الجديد الذي لاعهد لنا به قبل ذلك ولاتقتصر على تمثيل شجرة واحدة زائلة كما هو شأنها عند من تواردت عليهم مناظر الأشجار الكثيرة . ولهذا نرى

---

(١) هذا التلخيص من نقل العقاد نفسه ولم نزد فيه ولم نغير منه

(٢) أكذلك هو ، وهل في الدنيا من يسر من الجمال « بلا سبب » ؟

(٣) اذا نظرت « انت » اليها فكيف يكون لها حينئذ عالم منزه عن الاسباب والعلاقات واين يوجد هذا العالم وكيف تعرفه « انت » ؟

فيها الفكرة الافلاطونية التى هى فى الحقيقة جوهر (الجمال)

هذا ضبط العقاد فى تلخيصه رأى شوبنهور وبعضه ينقض بعضه الا عند مثل هذا الرجل الذى لايكاد يميز بل يأخذ بأول ما يبدو له ويفهم اكثر مايفهمه على التوهم ، فان ماتراه فى عهد الصغر حين ترى الشجرة الاولى التى لا تعهد لنا بجنسها ولا بنوعها قبل ذلك مما يجعل هذه الشجرة الواحدة هى الشجر كله ـ ان هذه حالة لن تكون هى ذاتها الحالة القائمة بنفس الشاب فتكون « السر فى وضوح احساسات الشباب وجمالها الكمالى »

ثم ترى المراحيضى يقول لك « الفرد والنوع » والصواب الفرد والجنس لأن الشجرة الاولى التى يراها الطفل ان كانت شجرة تفاح مثلا فهى لا تمثل له نوع شجر التفاح وحده بل جنس الشجر على أنواعه . ولسنا بصدد تصحيح رأى شوبنهور فقد يكون العقاد مسخه بسوء فهمه أو تعمد الاقتضاب كيلا يظهر موضع توليده أو فساد توليده ، بيد أن العقاد يقول بعد ذلك : « أين نتفق فى هذا الرأى وأين نفترق (ما شاء الله أين يتفق العقاد وشوبنهور واين يفترقان . . . ؟) واين يتساوى القول بان الجمال « فكرة » والقول بان الجمال « حرية » ؟ يتساويان حين نذكر « أن الفكرة » فى رأى شوبنهور لا بد أن تكون بعيدة عن عالم الاسباب والضرورات ومن ثم لا بد أن تكون مطلقة ـ من اسر الاسباب والضرورات (١)

ثم اين يتعارضا هذان الفيلسوفان العظيمان . المراحيضى ! ! ! وشوبنهور ؟ يقول العقاد : « يتعارضان حين نذكر أن الحرية لا تكون بغير ارادة وان شوبنهور يخرج الجمال كله من عالم « الارادة السيئة » أى عالم « الفكرة المجردة »

وما الذى يرجح رأى فيلسوفنا ! ! المراحيضى ! ! بأن الجمال هو الحرية على

---

(١) ففكرة من تكون هذه الفكرة البعيدة عن عالم الاسباب والضرورات وكيف كسبي (فكرة) ؟

رأى شو بنهور بان الجمال « فكرة » ؟ يقول العقاد . (يرجحه أن الجمال يتفاوت في نفوسنا ويتفاضل في مقاييس افكارنا ـ ولو كان المعول على ادراك « الفكرة » وحدها في تقدير الجمال لوجب أن تكون الأشياء كلها جميلة على حد سواء) .

« ونوضح ذلك فنقول . لو كانت الشجرة جميلة لأنها فكرة « فقط » لما كان هناك داع لتفضيل فكرة الانسان على فكرة الشجرة (افهموا ياناس) واتضح لنا ان نزعم أن الناس اجمل من الاشجار (براڤو مراحيضى) . ولكننا نعلم ان فكرة الانسان غير فكرة الشجر (تمام تمام ! ! !) . وان الفكرتين تتفاضلان في تقدير الجمال (صحيح لان الشجرة تقدر جمال الناس كما يقدر الناس جمالها ! ! !) ولا بد ان يكون تفاضلهما بمزية أخرى ، فما هى تلك المزية ؟

قال المراحيضى . هى الحرية : فالانسان أوفر من الشجرة نصيبا من الحرية (براڤو براڤو ! ! !) ولذلك هو اجمل منها . (ياسلام ياسلام على هذا المنطق . فى رأى من هو أجمل منها ؟ فى رأى الجبل بالطبع لانه لا بد من حكم بينهما يحكم أيهما اجمل . والا فما الذى يمنع الشجرة أن تحكم لنفسها كما حكم الانسان لنفسه ؟ .) .

قال المراحيضى الفيلسوف ! وكذلك تتفاوت « الفكرات » فلا يغنينا القول بان الجمال فكرة ؛ عن القول بأن الحرية هى المعنى الجميل في الفكرة ؛ أو هى التى تهب الفكرة ما فيها من الجمال (١)

إلى هنا يظهر أن العقاد يفكر و يصحح لشو بنهور . ولكنه سقط بعد ذلك على أم رأسه وأظهر الجملة التى منها سرق . فقال : « وقرر شو بنهور أن المادة الصماء لا جمال فيها ولا أنس لديها ، وأنها تقبض الصدر وتثقل على الطبع (قلنا كالماس والزمرد والذهب مثلا فهى مادة صماء ولا جمال فيها وتقبض الصدر وتثقل على الطبع ؛ ومائة الف جنيه اثقل على الطبع من جنيه ! ! !)

قال : « فلم كانت كذلك ؟ ألأنها عارية عن الفكرة ؟ كلا فما من شيء محسوس

---

(١) كل ما نقلناه هو من الصفحات ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ من كتاب مراجعات للعقاد

إلا له فكرة مكنونة في رأى شوبنهور . ولكنها تقبض الصدر وتثقل على الطبع لأنها تمثل الركود والجمود أو تمثل التجرد من الارادة (والحرمان من الحرية) . وقد ذكر شوبنهور نفسه بعض هذه العلة وقال : « إن الحزن الذى تبعثه « المادة غير العضوية » فى نفوسنا آت من أن هذه المادة تطيع قانون « الجذب » طاعة تامة من حيث تتجه الأشياء . أما النبات فان منظره يشرح صدرنا ويسرنا سرورا كبيرا (كلما ترك وشأنه) . وسبب ذلك أن قانون الجذب يبدو لنا كالمعطل فى عالم النبات لأنه يتجه الى خلاف الجهة التى يجذبه اليها ذلك القانون . وهنا تتخذ ظاهرة الحياة لنفسها طبقة جديدة عالية بين طبقات الموجودات ننتمى نحن اليها وتتصل هى بنا ويقوم عليها عنصر وجودنا فترتاح اليها قلوبنا . الخ

قال العقاد : « والى هنا يسبق الى ظنك أن شوبنهور سيخلص من هذا القول الى نتيجته القريبة فيقول ان الاشياء تحزننا بما فيها من معانى الخضوع ! وتفرحنا بما فيها من معانى ! ! الحرية ! أو انها تحزننا كلما قل نصيبها من الارادة وتفرحنا كلما عظم نصيبها من هذه الصفة . ولكن لم يدع هذه الصفة . ولكنه يدع هذه النتيجة القريبة الى نتيجة أخرى لا تؤدى اليها (يريد لا يؤدى اليها كلامه السابق فأخطأ فى التعبير كعادته)

معنى كل هذا ان العقاد استخرج النتيجة القريبة وقال :(ان الجمال هو الحرية) واما شوبنهور صاحب البحث والرأى فمغفل جاهل لانه وضع البحث كله ولكنه استخرج نتيجة اخرى كأن الذى وضع النحو وقسم الكلام الى اسم وفعل وحرف فعل ذلك وهو لا يعرف ما هو الاسم ولا ما هو الحرف :

أفى الارض معتوه واحد يصدق أن شوبنهور يعمى عن النتيجة القريبة لكلامه هو أم الاعمى هو العقاد الذى لم يفهم ما يريده شوبنهور من أول كلامه الى آخره

فان محصل كلام هذا الفيلسوف (١) أن ماتراه بسبب من ارادتك وغرضك وشهواتك فجماله فيك أنت لا فيه ، لأنه فى هذه الحالة صورة الاستجابة الى مافيك ، فلو لم يكن معك أنت هذا الغرض لم يكن معه هو ماخيل لك من الجمال فهو على الحقيقة باعتبار الفكرة المجردة لاجمال فيه . وإنما أنت صبغته وأنت أوقعته ذلك الموقع من نفسك فالنتيجة من ذلك ، ان الاشياء تحزننا (أى لاتراها جميلة) كلما ابتعدت من عالم الفكرة واقتربت من عالم الارادة ، وانها تفرحنا

---

(١) نريد من العقاد وامثاله اذا ترجموا أن يقولوا ترجمنا وأن يأتوا بالكلام المنقول على نصه ليفهم منه كل قارىء على مايفتح له . ولكن العقاد على أنه مترجم يأبى أن يكون مترجما فيأخذ مايريد أن يأخذ ويدع مايستحسن أن يدع . لامن حكمة أوفائدة بل على ماتتجه اليه خطته فى السرقة والاغارة على الناس وانتحال آرائهم وافكارهم وكل كتبه مشحونة بمثل هذا فأنت تجد فيها كل كاتب أو شاعر أو فيلسوف انجليزى ومن كل ماقل الى الانجليزية على أنه للعقاد لا لأصحابه ، فان جاء منه شيء معزواً لصاحبه جاء خليطاً كما رأيت فى كلام شوبنهور تستطيع أن تنقضه وترده بايسر التمحيص لأنه على قدر فهم العقاد لا على ما وضعه قائله أو كاتبه ، وليس هذا وحده بل مع سوء فهم العقاد وشعوذته على القراء ، سوء قصده من الغرور والوقاحة . فالأمر كما ترى أشبه برقيع يدعى النبوة والوحى ويعمل على أنه نبي ويكابر فى أنه غير نبي ، فكل ماجاء به عالياً عالياً لم يجىء بطبيعته وطبيعة عمله إلا سافلا سافلا

ولأجل هذا فنحن لا نثق أن ترجمة العقاد عن شوبنهور هى نص معانى شوبنهور على أغراضها وسياقها فلا نتعرض لهذه الآراء ولا نقول فى تفسيرها وانما نذهب الى ما نظنه الأصل فى غرض الفيلسوف مجملا غير منفصل وخاصاً بالجمال وحده دون ماتفرع من هذا الأصل .

والرأى للفلسفى الصحيح أن الحواس الانسانية زائغة لا تستطيع أن تحكم على الأشياء فى ذواتها وحقائقها ، ولا أن تتبين ماهى فى كنه انفسها فليس فينا إلا نسبة هذه الأشياء الينا كادة تلائم مادة أو تقاربها أو تداخلها أو تضادها

أما فكرة الشيء فى ذات نفسه كما هو فى كنهه ، وأنا نحزن ونكتئب لمنظر المادة الجامدة إذ لاتقاوم الجذب ونسر لمنظر النبات اذ يقاومه ولا ينقاد الا على الخلاف ، ذا كله تخليط فى تخليط . وعاقبة أكلة ثقيلة من القرنبيط ...

كلما ابتعدت من عالم الارادة واقتربت من عالم الفكرة (١)

وهذا الرأى هو الرأى الصحيح فى معنى الجمال وبه يؤول اختلاف الناس في تقدير جمال الأشياء ، لأن الجمال فى أهوائهم وأذواقهم ومعانى نظرهم . وقد روى الجاحظ أن رجلا تزوج امرأة لم تكن رائحة أنتن ولا أقذر من رائحة جلدها ، فلما كان زفافها دلكت جسمها بالمَرْتَك (٢) لتزيل هذه الرائحة الخبيثة وبقيت تفعل ذلك فى سر من الرجل ثم غفلت يوماً فاطّلع على شأنها وأصابت هذه الرائحة منه هوى وجد به نشاطاً ... فنهاها أن تغشه بعدُ لأنها لاتجمل عنده ولاتقع من هواه الا بهذه الرائحة ، فكانت إذا سألته حاجة ومنعها قالت والله لأمرتكنّ ! فيبادر الى قضاء حاجتها خيفة أن تطيّب ريح جسمها .....

هذا هو عالم « الارادة المسببة » فى رأى شوبنهور فأى جمال فى صاحبة تلك الريح الخبيثة ، وهل يصطلح الناس فى عالم « الفكرة » على جمال تلك الريح كما رآها ذلك الذى ابتعد عن عالم الفكرة وارتطم فى ارادته ؟

على مثل تلك الطريقة من الغباوة وسوء الفهم وقبح الاجتراء والغرور والحماقة تجد كل مايولده العقاد أو أكثره ثم يزين له لؤم نفسه وعمى بصيرته أنه هو وحده الذى يُهدَى الى أسرار الاشياء ويُلهم حقائق المعانى فيزدرى الناس وينثرى عليهم بالطعن والتسفيه ويقول فيهم مالو عقل أو أنصف لما قاله إلا فى نفسه .

---

(١) هذه النتيجة هى التى استخرجها شوبنهور قبل العقاد وليس بعجيب أن يراها العقاد خطأ لأنه لم يفهم ما بنيت عليه كما رأيت .

(٢) هو فى كتب اللغة المرتج بالجيم ولكن الجاحظ كتبه واشتق منه بالكاف وهو بالكاف لايطابق ماذكر فى كتب الصناعة مما يتخذ لعلاج الصنان فان هذا ضرب من الطيب تعريب (مروه) وذلك هو كما قالوا (مبيض المرداسنج) . والمرداسنج تعريب مرتك سنك وهو الحجر المحرق يكون من المعادن المطبوخة بالاحراق الاالحديد والظاهر أن العامة فى زمن الجاحظ استثقلوا الجيم فأبدلوها كافاً وجاراهم هذا الأديب الامام على منطقهم للحكاية وتلك عادته فى أكثر ما يحكى .

ولو تأملت ما كشفناه من سرقاته الشعرية لرأيت أن تلك هى قاعدته في التوليد فلن يأتى بمعنى واحد أحسن من أصله أو على المقاربة منه ، وهذا حسبك فى الدلالة على قيمة الرجل و بيان منزلته . وهو لو كُفى الوقاحةَ وحدها لأمكن أن يفلح لان كل رذائله فروع من هذا الأصل ترجع اليه واحدة واحدة ولكنه كذا خلق ولن يغيرَ أمس وقد مضى، ولن ترجع له وراثةٌ أخرى وحارات وأزقة

ولا بأس من هذا الظهر استفتى المراحيضىّ مرة رجلٌ من العراق فى أمر (القديم والجديد) ومناظرة كانت بين فلان وفلان. فخلط العقاد على طريقته ولكن الذى راعنا مما كتب أنه قال: إن كتاب العرب لم يجيدوا فى المعانى المطولة « بل كانوا إذا طرقوا هذه الموضوعات أسفّوا وضعفوا واجتنبوا الاساليب الادبية المنمقة وأخذوا فى أسلوب سهل دارج لا يختلف عن أسلوب الصحف اليومية عندنا (يعنى لا يختلف عن أسلوب العقاد ؟ ؟) فى شىء كثير . قال : « ومن شك فى ذلك فليرنى صفحة واحدة من مصنف عربى فى مبحث من المباحث الاستقرائية مكتوبة بلغة تضارع لغة الادباء فى الرسائل والمقامات ! ! ! أو يصح أن يقال أنها لغة أدبية ذات طريقة محض عربية (كذا) قال : ولست أكلف المخالفين لرأيى أن يجيئونى بصحيفة عالية البلاغة من كتاب فلسفى أو منطقى . فهذا قل أن يتيسر في لغة من اللغات ولكنى أكلفهم أن يجيئونى بصفحة واحدة (عجايب !) بليغة من موضوع غير الموضوعات الخطابية المرتجلة التى تكلم الجاهليون فى مثلها على البداهه . إنهم لا يستطيعون » انتهى بحروفه

انظروا أيها الناس أهذا كلام رجل يكتب بعقل أم بوقاحة . وهل اطلع هذا المراحيضى على كل ما كتبه العرب ؟ وان كان اطلع على كل كتبهم فهل قرأها كلها حتى أيقن أنها خالية (من صفحة واحدة) تكون بليغة فى موضوع فلسفى أو منطقى أو علمى ؟ وهل انتهى الينا كل ما الفه كتاب العرب وكل ما ترجموه ليقرأه المراحيضى ويجزم بانه ليس فيه (صفحة واحدة) من ذلك

وكيف لعمرك يكتب مثل الجاحظ اذا ترجم أو كتب فى موضوع علمى ؟ أينزل عن طريقته وينسى اللغة كلها ليجىء بكلام بارد غث ككلام العقاد والصحف اليوميه ؟

على أن أديبا قابل العقاد بعد هذه المقالة وقال له أن للجاحظ رسالة كاملة تملأ نحو مائة صفحة فى مثل هذه الموضوعات وهى من أبلغ ما كتبه وكلها عالية الطبقة فى اسمى ما بلغ اليه الجاحظ بقلمه وعبارته وأسلوبه (١) ، أتدرى ايها القارىء بماذا أجاب الرقيع ؟ لم يقل للاديب اطلعنى عليها ، بل أقر أنه هو لم يطلع عليها ثم قال . (قال إيه ياترى . ؟) قال إنها غير مرتبة ؟ ؟ ؟

هذا والله جوابه بحروفه . رسالة لم يقرأها ولم يعرفها ومع ذلك يقول أنها غير مرتبة . وسبحان الله ولا إله إلا الله ويخلق مالا تعلمون

على أن هذا كما يؤخذ دليلا على وقاحة هذا الكاتب وعنته ومكابرته وأن لسانه دائما يستمد من طباعه قبل أن يستمد من عقله فيسبق بما فى قلبه أو فى نفسه قبل ان يجىء بما فى نظره او فى عقله — يؤخذ أيضا من الادلة على جهل العقاد بالبلاغة واساليبها وكيف تكون وكيف تنقاد ، ان رجلا من بلغاء الناس كعبد الحميد اوابن المقفع اوسهل بن هارون أوالجاحظ أومن فى طبقتهم لوهو تناول أعسر المواضيع العلمية لصبغها بأسلوبه وأنزل الكلام فيها على طريقته وأخرج النغم الانشائى حتى من الحجر ومن التراب ، لان الاسلوب انما هوصورة مزاجه اللغوى ، فان لم يجد له المعانى التى يظنها العقاد خاصة بالمواضيع الادبية أو الخطابية وجد له اللفظ ووجد له السمق . ومتى وفق كاتب فى الفاظه ونسق الفاظه ، فقد استقامت له الطريقة الادبية وجاء أسلوبه فى الطبقة العالية من الكتابة . وأكثر كلام العرب

---

(١) هى رسالة « الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير » يبين فيها حكمة الخالق فى أنواع أخلقه ويرد على ما أنكره المعطلة من معانى الاشياء وأسبابها الخ

يخرج على هذا الوجه فتراه بليغا فى أدائه رصينا فى الفاظه متينا فى عبارته ولا طائل من المعنى وراء ذلك .

غير أن العقاد وأشباهه من سوقة الكتاب وعوام المتعلمين انما يدافعون بمثل ذلك القول عن جهلهم وعجزهم وانحطاط أساليبهم كأنهم يقولون انما ابتلينا بالضعف والنقاهة وارتكاسنا من جهة أننا نكتب فى المعانى العلمية والاجتماعية والاستقرائية والهيابية ! ! ولو كان العرب كتبوا في مثل هذا لكان كلهم عقاداً شقاداً !! (١)

أنا أفتح الآن الورقة الاولى من كتاب الجاحظ فاذا هو يقول في حكمة زرقه السماء ؛ فكر فى لون هذه السماء وما فيها من صواب التدبير فان هذا اللون أشد الالوان موافقة للابصار وتقوية لها حتى أن من صفات الاطباء لمن أصابه شيء أضر ببصره إدمان النظر الى الخضرة ماقرب منها الى السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كلّ بصره الاطلاع في إجّانة خضراء مملوءة ماء . فانظر كيف جعل هذا الاديم أديم السماء بهذا اللون الاخضر الى السواد ليمسك الابصار المتقلبة عليه فلا ينكى فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذى أدركه الناس بعد التفكر والتجارب يوجد مفروغا منه في الخلقة . . .

فكر فى طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتى النهار والليل فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله فكيف كان الناس يمون فى حوائجهم ومعايشهم ويتصرفون فى أمورهم والدنيا مظلمة عليهم وكيف كانوا يتهنون بلذة العيش مع فقدهم لذة النور ورَوحه . فالأرب فى طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الاطناب فيه . ولكن تأمل المنفعة فى غروبها فلولا غروبها لم يكن للناس هدو ولا قرار مع عظم حاجتهم الى الهدو لراحة ابدانهم وجموم حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضمهم الطعام وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء كالذى تصف كتب الطب من ذلك . ثم كان الحرص

---

(١) شقاد يعنى عقاد على حد قول العرب شيطان ليطان من باب الاتباع وعليه قول العامة حين يذكرون من لاقيمة له فيقولون هو عفش نفش

سيحملهم على مداومة العمل ومطاولته الى ما تعظم نكايته في أبدانهم ، فإن كثيرا من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم لما هدؤا ولا قروا حرصا على الكسب والجمع ؛ ثم كانت الارض ستحمى بدوام شروق الشمس واتصاله حتى يحترق كل ما عليها من حيوان ونبات فصارت بتدبير الله تطلع وقتاً وتغرب وقتاً بمنزلة سراج رُفع لأهل البيت ملياً ليقضوا حوائجهم ، ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤا ويقروا فصارت الظلمة والنور على تضادهما متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه .

ثم فكر بعد هذا فى ارتفاع الشمس وانحطاطها لاقامة هذه الازمنة الاربعة من السنة وما فى ذلك من المصلحة ، ففى الشتاء تفور الحرارة فى الشجر والنبات فتتولد فيه مواد الثمار ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد أبدان الحيوان وتقوى الأفعال الطبيعية ؛ وفى الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة فى الشتاء فيطلع النبات وينوّر الشجر ويهيج الحيوان للسفاد ، وفى الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض فيتهيأ للبناء والاعتمال ، وفى الخريف يصفو الهواء فترتفع الامراض او تصح الابدان ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الاعمال الطويلة إلى مصالح أخرى لو تقصى ذكرها طال الكلام فيها . . .

والكتاب كله على هذا النسق ويمتثل هذه العبارة . وهذا الاسلوب وقد يعلو فيه حتى يفوت اسلوب الرسائل وانما يمكنه من ذلك مزاجه اللغوى وحس هذه اللغة فى نفسه واحاطته بمفرداتها فى كل باب وكل معنى فما يعجزه قبيل من الكلام ولا فن من القول فى منطق أو فلسفة أو اجتماع وما داخلها نوعاً من المداخلة أو أشبهها وجها من الشبه . وانما الجاهل الغبى الركيك الذى يحسب اللغة لغتين فى القلم البليغ هو العقاد المراحيضى لانه لايحسن شيئاً من كل ذلك ولم يطلع ولم يقرأ لمن أحسنوه ثم يأبى على ذلك أن يقر فى حيزه وحيز أمثاله فيتطاول بعنق الزرافة ! ! ! ويذهب

يزعم ويخلق من اكاذيبه ومزاعمه ولا يخجل أن يقول (هات صفحة واحدة).
فأنشدتكم الله ايها القراء إذا لم يكن هذا هو الجهل المركب فما هو الجهل المركب

* * *

ونعود الآن إلى توليد العقاد وسوء ملكته فى ذلك وكيف يصنع أقبح الصنع مما يدل على ضعف وبلادة وعامية فى الطبع ، واذا فسد توليده ونزل في معانيه فما بقى فى الرجل الا الاص ، وهذا ما نقول به ونقرُه ولا نظن أحداً ممن يقرؤن « السفود » يكابر فيه فلقد غسلنا وجه هذه العجوز . . وانتزعنا (طقم الاسنان) من فمها وقلنا لوجهها انطق الآن يا . . . . . .

قال صاحب مرحاضه أو المراحيضى فى صفحة ١٤٦ من ديوانه أو مزبلته !! يتغزل .

صفه فى كل كساء صفه فى كل الجهات
هو فى الروضة إذ يمشى أحب الزهرات
وهو في القفر رياض من هوى لامن نبات
ثم والله فياليـ ت به بعض الهنات
ثم حتى أتعب العيـ ن بفرط الحسنات

هذا من أحسن شعر المراحيضى ، ولكن لا تنخدع وفتش وانظر كيف جىء بأسخف توليد في البيت الذى هو أحسنها أى فى البيت الأخير .

يقول « صفه فى كل كساء » حتى فى كساء شحاذ قذر ؟ حتى فى كفن ميت ؟ حتى فى ثوب مصاب بالجذام ؟ أيا حبيب المراحيضى ! لا تقابله الا وفى يدك كرباج سودانى .....

« صفه فى كل الجهات » حتى فى القبر . أيا حبيب المراحيضى ، الكرباج الكرباج .. والبيت الثانى من قول القائل :

تظنه الروضة أما مشى فى أرضها أجمل أزهارها

وقلب ابن المهدى هذا المعنى فجاء به طريفاً إذ جعل الحبيبة تغنى عن الروضة كلها فقال :

خلتها فى المعصفرات القَوانى(١) وردة من شقائق النعمان
أنت تفاحتى وفيك مع التفا ح رمانتان فى غصن بان
وإذا كنت لى وفيك الذى أهـ ـوى فما حاجتى إلى البستان ؟

وأثقل شعر على النفس جعل المراحيضى حبيبه (فى القفر) رياضا من (هوى لا من نبات) ! أهـذا مما يجعل للحبيب قيمة فى القفر ولو قيمة بصقة ماء ؟ .. ولو قيمة عود نبات يابس ؟ أفليست بصقة ماء عند القفر أفضل الف مرة من روضة هوى فى خيال معتوه ... الكرباج ياحبيب المراحيضى ...

وتشبيه الحبيب بالروضة كثير ، ولكن لم يقل أحد روضة هوى فى قفر غير هذا البارد الفاسد الخيال .

ويقول (ثم والله فياليت به بعض الهنات) . الكرباج الكرباج . . هل فى الدنيا حبيب يقبل من محبه أن يقول له ياليت بك بعض العيوب ؟ وفسر الهنات بالعيوب الطفيفة فما هى العيوب الطفيفة التى يتمناها هذا الاحمق فى حبيبه وخلقته وجماله ؟ ولكن لعن الله التوليد اللئيم واللصوصية الوقحة . فانظر كيف صنع الشاعر حين قال .

ما كان احوج ذا الجمالَ الى عيب يوقّيه من العين

فهذا هو الشعر لا مارأيت من صنيع المراحيضى لان الشاعر يخاف على كمال حبيبه من أصابة العين ولكنه لا يتمنى أن يبتليه الله بعيب فان هذا التمنى لا يكون من قلب محب ، لا يجىء الا من كبد غليظ بل يقول « ما كان احوجَه » « وكان » هنا فى منتهى

---

(١) القوانى أى الحمر

الرقة والظرف كما ترى وهى تكاد تذوب حنانا وعاطفة

ويقول المراحيضى : ثم حتى اتعب العين بفرط الحسنات

قل لحبيبك : أتعبت عينى ، ثقلت على عينى ، عينى (بتوجعنى من فرط حسنك ! ! الكرباج الكرباج ياحبيب المراحيضى ! ان لم تكن أنت أيضاً مغفلا رقيما غليظ الحس

ان كل ما أتعب العين ترى العين راحتها في إغفاله وما يكون مثل هذا فى وصف الجمال المعشوق ولم يقله الا العقاد وحده فى بلادة وغباوة وجفاء بربرى همجى. وليأتنا من استطاع ببيت واحد لشاعر سليم الذوق يذكر فيه « تعب عينه » من فرط حسن محبوبه ونحن نكسر هذا القلم ونسلم بكل مايدعى العقاد انظر كيف صنع ابن الرومى فى قوله

وفيك أحسن ماتسمو النفوس له فأين يرغب عنك السمع والبصر

هكذا هكذا . ثم يعبر فى شعر اخر عن معنى تمام الحسن تعبيراً فى غاية الابداع يثبت المعنى الذى أراده للراحيضى فى نفسه وينفى مع ذلك تعب العين كأن فى العين من أجل الحبيبة طبيعة غير طبيعتها التى خلقت عليها فيقول

انظر كيف صنع ابن الرومى فى قوله

لَيْتَ شِعْرِى إِذَا أَدَامَ إِلَيْهَا كَرَّةَ الطَّرْفِ مُبْدِئٌ وَمُعِيدُ

أهى شىء لاتسأم العين منه أم لها كلَّ ساعة تجديد

هذا والله هو المرقص المطرب ولو قاله أكبر شاعر فى أكبر أمة لزاد فى أدبها وانظر مع كل مارأيت كيف عبر الشاعر العربى الذى لم يدرس ولم يتعلم ولم يجمع كل ديوان شعر وكل كتاب أدب فى الانجليزية ولم يكن جبار ذهن ! ! كيف عبر عن حيرته فى تمام حسن حبيبته وفرط جمالها فى رأى نفسه وكيف أبان عن المعنى الفلسفى الدقيق الذى انتهت اليه الفلسفة الحديثة في وهم الجمال ، وأنه فى الناظر لا فى المنظور ، وذلك حيث يقول بشر بن عقبة العدوى

فوالله ما أدرى أأنتِ كما أرى أم العين مزهوّ اليها حبيبُها

بديع بديع ، حلو حلو ، شعر كالحبيبة وان كان مولداً من قول امرىء القيس

اهابك إجلالا ومابكِ قدرة علىّ ولكن ملءعين حبيبها

ولكن ليس هذا كله من غرضنا بل غرضنا أن نبين كيف تهيأ للعقاد المعنى (أتعب العين) وكيف ولده لان ذلك دليل قاطع على أن شعره من ديوان الشعر كالمرحاض من القصر ! ! ! وأنه ليس هناك ولا يقال له الا ماقال الأول

فعد عن الكتابة لست منها ولو لطخت ثوبك بالمداد

وكذلك يقال له لست من الشعراء ولو أحدث فى أفخر أثوابك عزوز لتقول فيه : مرحاضه أفخر أثوابنا . . .

لابن الرومى فى هذا المعنى بيتان ، لا بد ولا بد أن يكون المراحيضى سرق من أحدهما : الاول قوله في وصف المهرجان :

مهرجان كأنما صوّرته كيف شاءت مصورات الامانى (١)

يمكنَ العينَ لحظة ثم ينهى طرفها عن إدامة اللحظان

ومعناه أن هذا المهرجان من كثرة أضوائه وزينته لا تستطيع الأعين أن تحدق فيه طويلا . فنقل ذلك الى المعنى الشعرى وجعل له سلطانا ينهى به العين فتغض. فان كان العقاد سرق من هذا فقد فهم أن العين تتعب وأنه اذا جعل مكان المهرجان حبيبه وجعل حسنه هو الذى يتعب العين خفيت السرقة وصار المعنى عقادياً شقادياً ، فحبيب العقاد هنا خمسون « لمبة » من مصابيح علاء الدين Allabine التى تضاء بطغط الغاز ومائة مصباح كهربائى قوة مائة شمعة ، وبعبارة مختصرة ، ياحبيب المراحيضى أنت دكان فراش . . . آه لو كان معك الكرباج السودانى من قبل

---

(١) فى الديوان مخيرات وهو خطأ

على السفود

وللسفودِ نارٌ لو تلقّتْ بجَمْرِها حَديداً ظُنَّ شَحْماً
ويشوى الصَّخْرَ يتركه رماداً فكيف وقد رميتَ فيه لحماً

ذبابة ! !ولكن من طراز زبلن . . . (١)

إى والله ، لو أن ذبابة من الذباب سخط الله عليها فابتلاها بمثل ماابتلى به العقاد ، الشاعر الفيلسوف ! ! المراحيض ! ! من الغرور ودعوى الغرور ووقاحة الغرور ، لذهبت في قومها تزعم أنها من طراز زبلن وأنها فى قدره وقوته ولا أقل من أن يكون زبلن هذا عمها أو ابن عمّها والا فهو ذبابة من ذباب ماوراء الطبيعة جاءت الى هذه الدنيا خاصة لترى فيها هى ذبابة الطبيعة ، فكلاهما (٢) عظيم وكلاهما جبار قوة وذهن

(١) عدد يناير سنة ١٩٣٠ من العصور

(٢) التذكير على اعتبار أن الذبابة خيل لها أنها زبلن . . . .

والبيت الثانى لابن الرومى قوله .

لاشىء الاوفيه أحسنُ فالعين منه اليه تنتقل

وهو تكرار لقوله (وفيك أحسن ما تسمو النفوس له « البيت » ونحن نرجح أن العقاد سرق من هنا لأن هذا الصنيع هو الأشبه بغباوته وفساد توليده ، فقد تصور هكذا : اذا كان لاشىء الاوفيه أحسنه ، واذا كانت العين تنتقل منه اليه واليه منه فهذا لاينتهى ولايمكن أن ينتهى الا اذ اتعبت العين والانتقال الذى لايزال من هنا الى هناك ومن هناك الى هنا انتقال متعب فيخرج من القضيتين أن تمام الحسن يتعب العين فيكون نظم هذا الكلام هكذا :

ثم حتى اتعب العين . .

وهكذا يكون شعر الاصوص الأغبياء ومثل هذا الهراء ينخدع فيهم المغفلون ويسمون مثل هذا المراحيضى جبار ذهن . . . ويغرونه بنفسه فيظن ويظنون أن الأدباء يعبأون به ويملء الظن فيحسبهم يخشونه ثم ينمى له وهمه ولؤمه ، فاذا هو يثورهم و يتنقصهم ويلقاهم بعامية أصله وسفاهة دمه وانه لأهون عليهم من سحق نملة لو عركوه ، وأقذر من شنق ذبابة لو تركوه . . . .

قالوا وتغيب الذبابة المأفونة سحابةً من نهار ويراها الذباب قاطبة مختبئة فى رَوث دابة . . . ثم تقذف بنفسها فى الجوعالية ثم تكسر ثم تنقض ثم تدور ثم تهبط ثم تقر على الارض فيقلن لها أين كنت لا كنت ويحك ؟ قالوا فتجيبهن أنها كانت مع المنطاد زبلن . . .وكانا معاً في رحلة حول الارض . . وكاد زبلن المسكين يتحطم فى الداعمة لولا أنها ضربت حوله بجناحيها ضربات دفعت له الهواء دفعاً أقوى من العاصفة ، فبضربة ترفعه من حيث يتكفأ وبضربة تمسكه من حيث يميل وبضربة تخلق تحته طبقة زاخرة فى الجو . وهكذا لدماً ولكماً ولطماً فى صدر العاصفه وعلى وجهها وقفاها ، إلى أن ولت هاربة وتركت زبلن فنجا وما كاد ينجو . . .

قالوا وتضحك الذباب ويقلن لها : أيتها المأفونة ! لوقلت إنك عصفورة من عصافير الفردوس كانت فى أول الدنيا ودافعت أمام عرش الله عن آدم وحواء فطردت معهما الى هذه الارض ، لكان ذلك أشبه عندنا بالصدق من دعواك أنك من طراز زبلن : وتساميك في الدعوى الى الرحلة معه حول الارض وتناهيك في السمو الى الدفاع عنه فى أجواز الفضاء . وتألهك آخراً في ضربك العاصفةَ وهزيمتها بجناحيك على أن هذا كله منك وأنت بأعيننا مختبئة في هذه الرمة من هذه البهيمة فى هذه المزبلة ساعة وخمساً وأربعين دقيقة . . . أخزاك الله . أفى رَوث دابة زبلن وسماء وعاصفة وطواف حول الارض ؟

* * *

هذا وحقك أيها القارىء هو مثَل العقاد لو أفصحت الحقيقة عن نوع غروره وحماقته ومقدارهما فى الادب والفلسفة والكتابة والشعر ، فلقد كاد يقول للمغفلين وللمخدوعين فيه : ابحثوا فى عن الاله بل ما أراه إلا ادعاها فى هذيانه الذى قال فيه

والشعر من نفس الرحمن مقتبس ... والشاعر الفذ بين الناس رحمن !

وقد مرت الاشارة الى هذا البيت وسخافة القصيدة التى هو منها

أما نحن فبحثنا فيه فلم نر إلا لصاً وعرفناه فلم نعرف إلا لئيما وفتشه النقد فلم يجد إلا صاحب مرحاضه .

ياسلام . لماذا أنت سوداء أيتها الخنفساء ؟ قالت لانى الشخصية اللامعة فى الكون ! ياسلام . لماذا أنت مغرر أيها العقاد المراحيضى ؟ قال لانى أذكى من سعد باشا وأبلغ من سعد باشا . هذا ياسيدى زميلنا كل أديب على وجه الارض كلام خنفسائى فقل شيئاً آخر . قل لنا مثلا أن الحقيقة المضحكة الساخرة القائمة في نفسك والتى هى مبعث شعورك والتى خلعتها أنت على نفسك بأوهامها وزخارفها وتلاوينها هى بعينها تلك الحقيقة القديمة التى لبسها من قبلك العجل أبيس ؟ غير أنه ظلم بها وحبس فيها وجاءته من الناس وتراها أنت حرية فكر وجاءتك من نفسك ، والا فافهمنى ياهذا بغير الكلام الخنفسائى ! ما الفرق بين عجل يقال إنه بين الناس إله أو صورة إله ، و بين رجل مثلك يقول عن نفسه بنفسه لنفسه إنه بين الناس رحمن ؟

نعم إنك مثلت فصولا لا فصلاً واحداً ـ فى رواية الغرور والدعوى (ولعبتها) ـ كما يقول طه حسين — ولبستَ للناس ثياب الرواية ، ولكنى رأيتك بعدُ منساقاً فى الحياة وراء المعانى المكذوبة التى مثلتَها تدّعيها ولا تفارقها ، فبربك هل رأيت أثقل على النفس ممن كان مرة على المسرح ، أمام من دفعوا خمسة قروش وعشرة قروش ، فكان هرونُ الرشيد !! وكان له زبيدة وجعفر ومسرور !! وكانت الروايه ، ثم يمر يوما على قسم الموسكي فيومىء للعسكرى الواقف على الباب ويقول له : يامسرور ! اذهب ويحك الآن فا كبس دار فلان (أرجو من فضلك أن يكون غيرى) وائتنى برأسه ! وقل لزبيدة وقل لجعفر ! ؟ أنت والله يا عقاد فى دعواك وغرورك الأدبى أثقل وأبرد من هذا ثلاث مرات ، والذى يقول لك غيرَ هذا فهو إنما يهزأ بك إن كان ذا رأى وكان لرأيه وَزْن .

رأى القراء فى السفود السادس خبطُ العقاد فى نقل كلام شوبنهور واستخراجه

النتيجة منه على رغم أنف هذا الفيلسوف الكبير وادعائه أن ذلك رأى ابتكره وفات به العقول وأصحابها . ولكن بقى أن أعرف جواب هذا السؤال . هل فى الشرق كله رجل يفهم ويرى نفسه فى حاجة إلى رأى عباس محمود العقاد ! ! ! في الرد على فلاسفة أوروبا وجبابرة الذهن فيها ؟ وهل يكون الرد للشرقيين وينشر فى الشرق ، أم للغربيين وينشر فى أوروبا ؟ وكم مقالة في مثل ذلك كتبها العقاد فى صحف انجلترا وألمانيا وفرانسا يرد على فلاسفتها وكتابها ؟ وماذا كان تأثيرها ؟ وماذا قالت تلك الأمم عن جبار الذهن المصرى ؟ وهل عيرتنا نحن به أم عيرت به كتابها وفلاسفتها ؟

هذا كله سؤال واحد يُفضِى بعضُه إلى بعض لانه ان وقع شيء من ذلك وقع الكل فأجيبونا أيها القراء .

إنه إن لم يثبت ذلك كله انتفى ذلك كله وأصبحنا من العقاد وغروره ودعواه فى هواء وفضاء ، فلم يبق الا أن العقاد وأشباهه هم المحتاجون الى الرد في هذا الشرق المسكين على شوبنهور ونيتشه وغيرهما تدجيلا وتعمية وليجدوا ما يتعلقون عليه حين يجدون ما هم مضطرون اليه . فان البلية والبلية كلها آتية من عقول مضطرة للعمل العقلى اذ كان وسيلة العيش لاصحابها الذين يحترفون الكتابة فى صحف تسمى صحفا على المجاز ، أى باعتبار الطبع والورق ! ! وكانت عقولهم ضعيفة رخوة إذ نشأت على طبيعة كطبيعة التسلق النباتى فلم تبلغ درجة الإحكام والفصل . ثم لا يعملون بها وهى عندهم وسائل عيش دنيئة كمربة الحوذى مثلا — الا عمل العبقريين بوسائلهم العقلية العالية . فمن ثم لا يكون همهم الا الاغارة على آثار العقول الناضجه الصحيحة بلا نقد ولا تمحيص ولا بد حينئذ من التشويه وتمسيخ ليعمو سهلا من عند أنفسهم فيقع الضرر من ناحيتين ، ناحية ضعفهم ! وناحية اضطرارهم .

وبذلك ينحدرون الى اضطرار شرٍّ من الاول فيرتطمون فيه وهو القطع

والجزم هنا عندنا فيما هو فرض أو تجربة هناك عند أهله . ثم البناء على هذا الاساس الواهى بناء يثبت أن صاحبه حبار ذهن !!! فقد لا يكون الفكر المنقول أو المسروق شيئا يذكر وقد يكون شيئاً قليلا ولكن (بعملية جبار ذهن ...) يصبح عندنا وأقل ما يوصف به أنه دليل على أن الكاتب جبار ذهن عبقرى .

هى (عملية) الخلق الجديد بالتشويه والمسخ والتعمية بمداخلة الاقوال والأفكار بعضها فى بعض الخ الخ والعقاد اكبر « اختصاصى » فى هذه العملية ، لانه لا حياء فيه ولا ذمة ! فهو بذلك كاتب عربى عظيم ، ولكنه فى الوقت نفسه أرضة كتب انجليزية لو عثر به شاعر أو كاتب انجليزى لذهب واشترى لكتبه (نفتالين) يطرد به هذا العث المسمى العقاد . . الذى يدأب فى (أكل كتبه) وثماره العقلية

٥٥٥

والآن وقد ظهرت وجوه العقاد من نواحيه المختلفة وعليها صفعات البراهين ورآه القراء كما يقال فى لغة الملائكة « يقيس الارض بطوله » . . (١) فلنودِّع ديوانه بنظرات سريعة نقلبه فيها كيفما اتفق . فهذه هى عادتنا فى نقده اذ لا يداخلنا شك أن فى كل صفحة من ديوانه سرقات وغلطات وحماقات . ولم نعرض ولا نريد ان نعرض الى فساد معانيه . فنقول هذا ضعيف وهذا ركيك ، ولو قال كذا لكان أحسن الخ الخ . فان كل هذا لا يغض من العقاد عند العقاد . وان نزل به فى تقدير القراء والادباء لان الرجل كما تعلم فاسد الذوق ومن أقوى طباعه المكابرة ومن أوكد أسبابه عدم تنبهه . فاذا قلت له هذا عندى ضعيف قال لكنه عندى قوى وان قلت هو فاسد فيما أرى ، قال وهو فيما أرى صحيح . وهكذا لا تفتح عليه

---

(١) يكنون بها عن سقوط المصروع الى الارض وتمرغه عليها بضربة قاضية

باباً إلا خرج من باب يقابله . ولكنك حين تقول سرقت ومسخت وغلطت وأخطأت . تراه قد ابتلع لسانه واستخذى وانكسر ، اذ ماعسى أن يقول ولامحل هنا للذوق يختلف فيه ولا لقديم أو جديد يهرب باحدهما من أحدهما ، فلا يكون الا أن توثقه كتافاً بالحقيقة وتلقيه فى سجن الغلطة وهو سجن لامنفذ فيه الا إلى محكمة فحكم ...

انتقدنا فى السفود السادس أبياتاً من قصيدة العقاد (يانديم الصبوات) صفحة ١٤٤ وقد راسلنا أحد الادباء يخبرنا أن الاربعة الابيات الاولى من هذه القصيدة مسروقة من كتاب الف ليلة !! ونحن لم نقرأ هذا الكتاب الا فى الصبى ولا نذكر الا أن كل مافيه من الشعر مبتذل عامى ؛ فان صح أن العقاد سرق منه فيا الف فضيحة ياعقاد وأدرك شهر زاد الصباح ...

فى هذه الصفحة ١٤٤ أبيات حسنة يشير بها المراحيضى الى معنى جميل ، وهو أن الحبيب الذى أوتى الجمال فى وجهه لايأتى له ، أو لاينبغى له ، أن ينتحل الوقار ويتظاهر بالغضب والتعبيس والقطوب فيقول :

واخدع جليسك بالقطوب فانني ... أنا لاأغر بضاحك متنكر
هيهات توليك الطبيعة مسحةً ... مما تروم من الوقار المفترى
أنتم مباسمها وفيكم تنجلى ... للناس ضاحكة كأن لم تكدر
ماللطبيعة حين يضحك ثغرها ... ضحك سوى الوجه الصبوح المزهر

والقصيدة كلها مبنية على هذه المعانى كأنها ثرثرة طويلة حول كلمة أوكلمتين ومع أن هذه المعانى كثيرة فى الشعر الاوروبى ، فانك تجدها بخاصة في كتابات أناتول فرانس حتى ليمكن ان تعد مذهباً من مذاهبه . فعنده أن المرأة الجميلة (تناقض طبيعتها) اذا لم تكن لجميع تحفة من تحف الفن . وبها أحيانا ذلك الفن ، عند هذا النابغة الحيوانى . مع هذا فان أصل المعنى فى شعر ابن الرومى ، وقد تفنن العقاد هذه المرة فى السرقة وكان لصاً كاص « المحافظ » وأصاب محفظة فيها خبرا!

يقول ابن الرومى في ممدوحه يستعطفه ويستميل وجه رضاه :

بوجهك أضحى كل شيء منورا وأبرز وجهاً ضاحكا غير غاضب
فلا تبتذله فى المغاضب ظالماً فلم تؤت وجهاً مثله للمغاضب

هذا هو كلام العقاد بعينه نقله الى الغزل وتصرف فيه ومع ذلك جاء مضطربا نازلاً عن الاصل المسروق منه .

يقول العقاد لحبيبه (واخدع جليسك بالقطوب فانني أنا الخ) فمن جليس الحبيب غير محبه ؟ كأنها مومس لها كل ساعة جليس . هلا قال « واخدع سواى بذا القطوب » !!!

ويقول في البيت الثانى (الوقار المفترى) بصيغة اسم الفاعل ، والمفترى الوقار هو الحبيب لا الوقار يفترى نفسه ، فيجب أن تكون الكلمة بصيغة اسم المفعول مفتوحة الراء ، وبذلك تسقط القافية . والبيت الثالث (أنتم مباسمها الخ) مع أنه من قول ابن الرومى ، ولكنه كذلك من قول الآخر :

لقد حَسُنت بك الأيام حتى كأنك فى فم الدنيا ابتسام

وفى البيت جعل الطبيعة تضحك فى الحبيب ، فهو اذن ثغرها . ولكنه فى البيت الذى يليه جعل الحبيب ضحكا فى ثغر الطبيعة . فنقض على نفسه وكل هذا قد سلم منه بيتا ابن الرومى كما رأيت . وقال المراحيضى في صفحة ٢١٣

ياليت لى ألف قلب تغنيك عن كل قلب
وليت لى ألف عين تراك من كل صوب!!!

يالطيف يالطيف . يدعو الرجل على نفسه بالمسخ والتشويه وأن يجعله الله (من فوق لتحت) رقماً من العيون ، فاذا أصيب مرة بالرمد جاؤه بعربة صاخ محملة من (الششم) أو بعربة رش مملوءة من محلول البوريك وبحمار محمل قطنا فانه لا يكفى الف عين أقل من ذلك . ولم هذا كله ؟ ليسرق العقاد بيتاً من الشعر فيجعله بيتين ويسقط هذه السقطة ويضحك الادباء من غباوته . ومعنى البيت

الاول أن لهذا المخنث الذى يحبه العقاد ألف عاشق فاذا كان لا بد له من ألف عاشق ولا يقنع إلا بألف ؛ فالعقاد يتمنى أن يكون له ألف قلب ليقوم وحده مقام أولئك الألف . وانظر أى سخف هذا ثم يريد أن يكون له أيضا ألف عين لينظره من ألف جهة ، فاذا صح أن الحبيب المخنث يجد له ألف قلب تحبه فهل يصح فى العقل أن الجهات ألف . ؟ أم يظن العقاد أن تخرج عينه وتجرى وراء الحبيب ، فاذا كان الحبيب فى حلوان ثم رجع الى القاهرة ؛ ثم كان فى عماد الدين ثم فى كل الشوارع خرجت عيون صاحب مرحاضه تجرى وأرسلت اليه النظر بطريقة لاسلكية فيكون حيث هو ملقى ، ومع ذلك يرى حبيبه فى كل مكان ؟

والله لو قال العقاد كل بديع مبتكر ثم قال هذا السخف لسقط ، فكيف وهو لص سارق يسرق من أبى على الحاتمى قوله المشهور :

لى حبيبٌ لو قيل لى ما تَمَنَّى ما تمنَّيتُهُ ولو بالمَنُون
أشتهى أن أحل فى كل قلبٍ فأراه بلحظ كل العيون

قابلوا أيها القراء واحكموا أنكم لن تحكموا على صاحب مرحاضه الا بالجلد ثمانين جلدة على الأقل

ويقول المراحيضى فى صفحة ٢٥٥ :

كيف لقلبى أن لا يحبك يا خدر نعيم بوشيه حافل
لا أنا أعمى فأستريح ولا أنت من الحسن والصبى عاطل
بأى معنى عليك لا تعلق العـ ـين وأنت المبرأ الكامل

مرة يتمنى أن يكون له ألف عين ومرة يتمنى أن يكون أعمى فيستريح ، ولا نعلق على هذه الابيات بشىء . فاننا لا نظن ان في أهل الذوق من الشعراء وأهل الادب من المتأدبين من يقول لحبيبه : « لا أنا أعمى ولا وجهك قبيح فكيف لا أحبك ؟ » . فالعقاد هو الذى جاء بهذا المعنى . أما الشعراء فيقولون كما قال صاحبهم :

يا حبيباً كله حسن لحب كله نظر

ومما هو من باب هذا المعنى الشعرى قول صاحب مرحاضه فى صفحة ١٥٦ .

كأن ما آتى ما ركبت إلا لترعاك أو تأفلا

يعنى أو تعمى كما يأفل النجم ونعوذ بالله . ويريد من معنى ترعاك تراك وهو غلط نبهنا على مثله فيما تقدم . والبيت بعد هذا كله مكسور بنقصه حرف في أول الشطر الثانى . وفى هذه الصفحة

قبيح بعينى أن تنظرا ولكن لعينيك أن تقتلا

وهو من قول ابن الرومى مسخه العقاد أقبح مسخ

عينى لعينك حين تنظر مقتل لكن عينك سهم حتف مرسل

ومن العجائب أن معنى واحداً هو منك سهم وهو منى مقتل

والعقاد يكثر فى شعره من معنى واحد يرقعه فى كل مكان برقعة جديدة وهو أن الحسن يدعو الى الحب بل الى الخطيئة وأن ما يدعو العاشق من المعشوق هو الذى ينهى المعشوق عن العاشق . وكل هذا من قول المعرى

ما بال داعى غرامى حين يأمرنى بأن أكابد حر الوجد ينهاكا

وقول ابن الفارض :

والى عشقك الجمال دعاه فالى هجره تُرى من دعاكا

وقول ابن الرومى :

لها ناظر بالسحر فى القلب نافث ووجه على كسب الخطيئات باعث

وقد مرت الاشارة الى بعض هذا المعنى فى السفود الاول فلندع كل ماجاء فيه من شعر العقاد وفى الصفحة عينها ١٥٦ يقول الراجيفى

ولح أنت فى صحراء الزما ن نهراً يهيج الصدى سلسلا

حرك الحاء من الصحراء وهى من أقبح الضرورات . بل لا معنى لها . وكان يستطيع أن يقول : ولح فوق صحراء هذا الزمان . ويقول بعده

فان قاربتك شفاه الظماء عجبت وأعجب أن تجهلا

والمعنى أن جمال هذا الحبيب كنهر في الصحراء يهيج ظمأ من يراه فان دنت منه شفاه الظامئين عجب من دنوها . والأعجب أن يجهل . يجهل ماذا ! إنها كلمة من الحشو وكان محلها أن تمنع لا أن تجهل

ثم الصحراء إذا كان فيها (نهر) لم تبق صحراء فان كان يريد السراب الخادع فهذا يهيج الصدى ولكن لا يمكن أن تقربه الشفاه لأنه تخييل فالمعنى فاسد من الناحيتين كما ترى والصواب قول ابن الرومي :

كلامك أكذب من يلمع بخيله بالضحى صحصحُ

وفي آخر هذه القصيدة يقول المراحيضي :

لقد كان وجه الثرى جنة من القبح لو من جمال خلى

إن كانت (جنة) بفتح الجيم فلا ندرى كيف يكون وجه الارض جنة من القبح لو خلا من الجمال ، إذ لا يمكن أن توجد جنة من القبح الا في وهم مثل هذا الرقيع الفاسد التخيل . وان كانت بضم الجيم بمعنى الوقاية فهذا أشد فساداً من الاول . وان كانت بالكسر بمعنى الجن فالمعنى مضحك ويكون هكذا : لقد كان وجه الارض جنا لو خلا من الجمال . وعلى كل حال فما خلا من الجمال فهو بالطبع من القبح . فماذا يريد المراحيضى أن يقول ؟

وفي صفحة ١٩٥ أبراك باكية وأنت ضياؤه ونعيم عيشى كله بيديك

وعزيزة تلك لدموع فليتها يقنو قطيرتها نظيم سليك

قطيرتها مصغر قطرتها وسليك مصغر سلك ويقنو يكون لها قنوا كقنو الموز وهو الكباسة أى العود الذى تنبت فيه أصابع الموز ، والمعنى أن دموعها عزيزة ليت لها سليكا يكون قنواً لقطيرتها (١) ... ولم يبق لتمام العزيمة حتى يحطم خلده هذا الطلسم الا أن يقول المراحيضى بعد ذلك

---

(١) أو المعنى من قنا يقنو أي اقتنى لنفسه لا للتجارة ولا للبيع ! وهذا من أبرد المعانى ومستعمله من أجهل الناس باللغة فان كان يريدها من القنو أى الكسب فالمعنى يكسبها نظيم سليك ؟ ويحسر العقاد البيان والذوق

فيجيء جلجل جلجوت جلجلت يضع القطبرة فى السليك لديك!

وقال فى صفحة ١٠٦ . ونهراً كمرآة مهجورة على وجهه من جولها أثر

يصف النهر في الشتاء لأن رعدة النسيم تجعد وجهه ولكن لايكاد أحد يفهم كيف يكون على وجه النهر أثر من جوى المرأة المهجورة فالصواب على وجهها أى وجه مرآة المهجورة . ويبقى أن مرآة المهجورة لايكون على وجهها من جوى هذه للهجورة شيء لأنها مرآة من البلور لامن اللحم والدم حتى يمكن أن تظهر فيها صفرة ونحول

(أتمال إليه المعنى ياترى ؟) المعنى يعرفه هذا اللص ولم يستطع نقله كعادته دائماً وهو للخالدى الكبير يصف البدر وقد غشاه غيم رقيق فيقول :

والبدرُ منتقبٌ بغيمٍ أبيضٍ هو فيه بين تخفُّرٍ وتبرُّجِ

كتنهُّد الحسناءِ في مرآتها كملتْ محاسنُها ولم تتزوج

هذا هو الوصف التام البديع لأن الحسناء التى كملت محاسنها ولم تتزوج حتى رأت جمالها فى المرآة تنهدت فيغشى المرآة غيم رقيق يلوح وجهها من تحته كالبدر فى نقاب الغيم . أما بيت العقاد فيبهات أن يفهمه أحد ولو بالتوهم الا اذا وقف على هذا الاصل فيفهمه حينئذ ليرميه فى وجهه ويقول له (غور يا شيخ)

فى ديوان هذا المراحيضى أبيات منسجمة حسنة السبك كأنها من سائر شعره بقايا مبنية فى خرائب متهدمة . وأكثر شعره ركيك يلتوى فيه المعنى أو يضطرب السبك . أو يقصر اللفظ عن الاداء فإما ظهر الكلام غامضاً لا يفهم أو ناقصاً لا يبين أو معقداً لا يخلص ، وإما لغواً وهذياناً أو قريباً منهما وعلى هذه الوجوه أكثر شعره .

والسبب فى ذلك تعويله على السرقة والترجمة واجتهاده فى اخفائهما ولا يكون اخفاء السرقة إلا بتحويل المعنى أو النقص منه وقلما يفلح العقاد فى هذه الناحية لانه لا يستطيع أن يزيد فى المعنى المسروق أو يجيء به أحسن من أصله كما عرفت فى كل

ما أوردناه من سرقاته فكلها نازل منحط . أما اخفاء الترجمة فيكون بالتصرف فيها وبهذا يفقد المعنى جماله الشعرى أو الفلسفى أو البيانى ويجىء كالمعنى المسروق مضطربا ناقصاً مخبأ الوجه كيلا يعرف فضلا عن أن ترجمة الشعر الاوروبى شعرا عربياً قلما تخلص إلا للافذاذ من أهل البيان العربى والقادرين على اخضاع هذه اللغة والمتمكنين من أسرار الفاظها والموهوبين فى أدمغتهم عقولا بيانية ، وإن فى العقاد من هذا كله شيء يذكر وهو يعرفه ويقر به ولا يكابر فيه لانه لا يدعى أنه (جبار ذهن) إلا من الناحية العقلية المحضة وبحسب هذه العقليه شيئاً غير البيان وعنا موضع من مواضع جهله فان شكسبير أو غوته أو شلراو بيرون أو شيللى أو هيجو أو طاغور أو سواهم من جبابرة الادب فى العالم لم ينبغ بهم العقل المحض بل العقل البيانى وحده أى العقل المخلوق للتفسير والتوليد وتلقى الوحى وأدائه واعتصار المعنى من كل مادة وادارة الاسلوب على كل مايتصل به من المعانى والآراء لينقلها من خلقتها وصيغها العالمية الى خلق انسان بعينه هو هذا العبقرى ، فكل الذين ينكرون على البيان العالى الاوالاسلوب واللغة من العقاد وأمثاله انما يفضحون جهلهم وتقصيرهم ويثبتون أنهم فى غمار الناس وأنهم لا يصلحون للعبقرية الادبيه ولا تصلح لهم أولا تصلح بهم . ومما علمت من ضعف العقاد في هذه الناحية تعلم السبب فى ركاكته وتعقيده وأنه لا يفلح لامترجم شعر ولاسارق شعر مع أن تعويله إنما هو على الترجمه والسرقة وعلى إفسادهما لاخفائهما ، فكل ماأصبته فى شعر هذا المراحيضى من معنى مقعد أو نظم ملتوٍ أو بيان ناقص أو سبك غير مخلص ، فاعلم أن هناك موضع ترجمة أو موضع سرقه لابد من أحدهما . ولا تتخلف هذه القاعدة فى شعر العقاد مطلقاً وهى مفتاح سر من أسراره قد وضعناه فى يدك .

ونعود فنفتح الديوان . يقول صاحب مرحاضه فى صفحة ١٥٨ :

سفاها لعمرى عدُّنا الخطو بعده — اذا كان لا يدنو بنا من مؤمل

يريد العام الجديد ومع هذه الركاكة فقوله (سفاهاً) لحن ويجب أن تكون

مرفوعه لانها خبر مبتدؤه قوله « عدُنا الخطو » ولـكن الخبر اشتبه عليه بالمفعول لاجله فنصبه وفي هذه الصفحه يقول :

دعونى أسر فى ساحة العيش مفرداً مغمى فلا أدرى مصيرى وأولى

هنا يريد العقاد أن يكون كبهيمة الساقية أو دابة الطاحون يسير (مغمى) مغطى العينين وهم يفعلون ذلك بالبهيمة حتى لا ترى أنها تدور فى دائرة لاتتمداها فتقف بل تظن أنها سائرة سيراً طويلا مطرداً مع أنها طول نهارها فى بضعة أمتار

والمعنى عجيب يلائم ذوق المراحيضى ولـكن اذا غمى هذا المراحيضى وعمى عن المستقبل والمصير فهل تراه يعمى عن الماضى ؟ أم هو يريد أن يسلبه الله الذاكرة أيضاً

ويقول فى صفحة ١٥٣ :

يخاف بعضهم بعضاً ويمنعهم دونى مغافر أقذار وأقذاء

يريد شبان مصر ! وقد فسر المغافر فى الشرح بالدروع وماهى بها بل المغفر مايجعل أسفل البيضة على الرأس من زرد أوديباج أوخز أوغيرها ليقى الرأس من حديد البيضة . ومن هذه المادة الغفارة بالـكسر — خرقة تلبسها المرأة فتغطى رأسها وهى (الطرحة) عند العامة . والعقاد يستعمل المغفر دائماً فى معنى الدرع وهو جهل عجيب .

وفى البيت الذى أوردناه يسب الرجل نفسه من حيث لايدرى لانه اذا كان شبان مصر يمنعهم دونه دروع أقذار وأقذاء ؛ فهذه الدروع لاتكون إلا عليه وهو لانهم يقفون (دونه) ولايقتحمونه لـكان هذه الدروع التى تحميه منهم وتمنعهم دونه ، مع أنه يريد العكس وأنهم هم الممنوعون منه وهو الممتنع دونهم . والمعنى أن مقاذرهم تحميهم فلايمد المراحيضى يده اليهم لئلا يصيبه منه القذر وهو معنى بارد ولم يحسن سرقته كعادته فانه من قول القائل

نجابك عرضك منحى الذباب حمته مقاذيره أن ينالا

فياشبان مصر هكذا يصفكم العقاد ويشبهكم بالذباب الذى يشمئز الانسان أن يناله بيده وإن هاجمه

وقد نبهنا تفسير هذا اللغوى العظيم ! ! للمغافر بالدروع الى تتبع بعض شروحه اللغوية فى ديوانه فاذا الرجل الذى يرتجل كل مرة كاتب جرائد وشاعر جرائد وفيلسوف جرائد وسباب جرائد وهو فى كل ذلك لايساوى إلا مايبلغ ثمن جريدة بضع مليمات ! ! فسّر في صفحة ٢٤ : السوارى : فقال إنها العمدان وهذا الجمع فى لغة العامة لاغير وفى صفحة ٢٧ يقول « ياللسماء البرزة المحجوبة » وفسر البرزة بقوله « البارزة الحسنة » والكلمة فى جملة معانيها ترجع الى المرأة التى تبرز للرجال تجالسهم وتحادثهم ولاتحتجب عنهم لقوة رأيها وعفافها وجلالها فى قومها أولبروز محاسنها فترى أن لاتسترها كما كانت عائشه بنت طلحة ، ولامعنى أن تكون السماء (برزة) لانها لاتكون إلا برزة ، وفى هذه الارجوزة يقول في وصف السماء « كأنها الهاوية المقلوبة » ولامعنى (لهاوية) مع (مقلوبة) إذ هى حينئذ لاتهوى بقرارها وانما ترتفع به فلا تسمى هاوية ، فضلا عن أنه لايدخل في التصور أن تكون الهاوية مقلوبة والمعنى مسروق من وصف تركي مشهور يشبهون فيه قبة السماء بالكأس المقلوبة وهو تشبيه بديع ووصف منطبق فظن المراحيضى أن السماء لكونها أكبر من الكأس ! ! لايحسن فى تشبيهها إلا الهاويه . ولكن أين الضياء والنور وهما من وجوه الشبه فى الكأس إذ تشبه السماء الزجاج — ولاصفاء ولانور في الهاوية إذ هى إنخساف في الارض كانخساف عقل المراحيضى الذى لايميز فى التشبيه بين الكأس والهاوية

وفى صفحة ٣٩ يقول فى الشرح : خلق لكل عضو قرين فى الجسم إلا القلب فانه منفرد لايكمل الا بقلب آخر . وهذا كذب ولكنه صدق فى العقاد وحده لانه رجل ذو وجهين ؟ وذو لسانين كما يعلم من يعلم وفي صفحة ٤٢ يقول الدساتين

جمع دستان وهو الوتر (وتر العود ونحوه) وانما الدساتين هي هذه الخشبات التي تلوى عليها الاوتار ويسميها أهل الصناعة (الملاوى)

وفي صفحة ٤٣ يقول في شرح هذا البيت

والشعر ألسنة تفضي الحياة بها الى الحياة بما يطويه كتمان !

فيقول في الشرح : انما يتكلم الشاعر ويسمعه السامع بالحياة المستقرة في كل منهما فكأن الحياة انما تخاطب نفسها بالشعر (وتخاطب من بالاثر باصاحب مرحاضه) والحياة بغير الشعر جميلة ولكنها كالحسناء الخرساء والشعر يدوم مادامت الحياة في الانسان أوغير الانسان (فالحمار شاعر مثل العقاد مادام كلاهما حياً وبرهان أن كليهما شاعر هو أن كليهما حي) وأن صرير الجندب ونقيق الضفدع في الليلة القمراء لهما ضرب من الشعر لانهما لسان مافي الجندب والضفدع من حياة وجمال (وكذلك نهيق الحمار ضرب من الشعر الخ) أنظر أيها القارىء أي شرح هذا وأي بيت ذاك وكذلك يفعل المراحيضي حين يعجز عن ابراز المعنى فيعمد الى الشرح بمثل هذا الهذيان الفلسفي الذي بغر تلاميذ المدارس وبعض كتاب الجرائد وما أسخف الشعر اذا كان لايوقف على معناه الا بضم القارىء الى الشاعر ضم الشرح والمتن ؛ والمعنى الذي يريده العقاد مسروق من التصوف فان الصوفية يقررون في كلامهم كل ماجاء في هذه القصيدة من مثل هذه المعاني ومنه قول بعضهم لايكمل المريد حتى يكون مايسمعه من نهيق الحمار كالذي يسمعه من دواخل المغنين (١)

---

(١) كلمة دواخل هذه من الكلمات القديمة التي أميتت وكانوا يريدون بها مشاهير المطربين ومنها قول الشيخة زعزوعة زجالة مصر في عهدها وهو من أقدم الازجال

دواخل مصر في قاعة حدامهم بنت جنكية
وزعزوعة ترقصهم على شامي وشامية

فجدنا لو أحيت هذه اللفظة فان فيها معاني نفسية ظاهرة وان كان أصل اشتقاقها بعيداً عن ذلك ؟

وفى صحيفة ٣٧ فسر . والروض بالأثمار فينان ، قال فينان مثمر ولا معنى للثمر هنا ولاهو مما تعطيه المادة لان الفينان الطويل كالشعر والغصون وما أشبهها

وفى صفحة ٥٤ يقول . الخوف فيها والسطاسيان . ضبط السطا بضم السين وفسرها بأنها جمع سطوة ولعلها جمع جهلة أوجمع غفلة ! لاجمع سطوة . وهذه السطا يكررها العقاد ولاأصل لها فى اللغة

وفى صفحة ٦٤ يفسر الموق (موق العين) فيقول . الموق الحدق فغلط فى هذه الكلمة غلطتين لان الحدق جمع حدقة ولايكون الموق عيوناً كثيرة ثم أن الموق هو طرف العين مما يلى الانف وهو الذى يجرى فيه الدمع فما هو بالحدقة فضلا عن الحدق .

وفى صفحة ٧٢ يقول فى وصف الزهرة (النجم) .

أشمة ينبثقن شتى كانها عذق ياسمين
أراك تغوينني بوحى إلى السموات يزدهيني
أغواء ذات الدلال صيغت في ذروة المعقل الحصين

فسر العذق بأنه فرع . والعذق لايقال لما فيه زهر ، فعذق النخلة كباستها (سباطتها) وكان يجب أن يقول كانها غصن ياسمين . ولكن من بلادة ذوق هذا الرجل تراه يستعمل ألفاظا كثيرة يتباصر بها كأنه من المولعين بالغريب وما به ذلك ولكن به أن يعلم تلاميذ المدارس ومحرروا الجرائد أنه لغوى عظيم وان جاء بالالفاظ الجافية والمهجورة أو المانة . وله من هذا كثير بارد سخيف

وشرح البيت الثالث فقال . كأن الزهرة وهى تلمع للناس من أعلى السماء

قال صاحب شفاء الغليل : والمحدثون يسمون حسن الصوت دخولا ويسمون ضده خروجا . كانه لخروجه عن الايقاع والضرب . وهذا على صرف اه ثم قالوا داخل ودواخل واطلقوها على المطربين ، وما يسمى خروجا هو مايسميه كتاب

وتشويههم للصعود اليها ! حسناء تتصبى اليها المارة من أعلى حصن ! ودون الوصول اليها حراس وأسوار ! قلنا ومع ذلك فيمكن ذلك الحصن وأسواره وقتل حراسه والوصول اليها فهل يمكن كذلك الصعود الى الزهره ؟

الحقيقة والله أن العقاد في نقد السخف رأى فيه روحاً نقية ركيكة لاتدرى أضربت على جسمها أم ضرب جسمها عليها ؟

وفى صفحة ٩٢ يقول . الوادى الجديس . ويفسره بأنه المجدب ولم يرد فى اللغة إلا الجادس بهذا المعنى . ولكن العقاد يتصرف كان اللغة أخبار تجيئه للنشر فهنا يقول فى جادس جديس وفى صفحة ٧١ يقول فى صدىء (صادىء) « مهمات تصقل صادئاً » فما عليه بعد هذا أن يقول حاسن في حسن وجامل فى جميل وهكذا .

وفي صفحة ١٣٩ يقول « يبنيك الملوك وصالا » وفسر وصالا بقوله متواصلين فيكون جمع ماذا ؟ جمع واصل أم جمع وصل اشتراك ! ! ومن الذى يقول قوم وصال أى متواصلون غير العقاد المراحيضى ؟ وفي صفحة ١٤٥ يقول

صفه فى عينى وما تعدو به وصف الأضاة

فسر الاضاة بانها المرآة وانما هى الغدير يعكس ماؤه مايرى فيه وظاهر أنه لايريده في بيته بل يريد المرآة وأين المرآة من الغدير ؟ وفى صفحة ١٦١ يقول واشتقنا الحياة دوالياً » وفسرها بالتداول ولامعنى لها إلا في ديوانه ! ! !

وفى صفحة ١٦٥ قال . « حسن النجوم فى الافق تترى » وفسر تترى فقال تتوالى يعنى أنها عنده من ترى يترى فهو تار أو ترن يترن !! . ماهذا المخازى اللغوية ياصاحب مرحاضه ؟ إن تترى اسم ممنوع من الصرف لا فعل مضارع بارجل .

قال الراغب فى مفرداته فى معنى قوله تعالى « ثم أرسلنا رسلنا تترى » : تترى